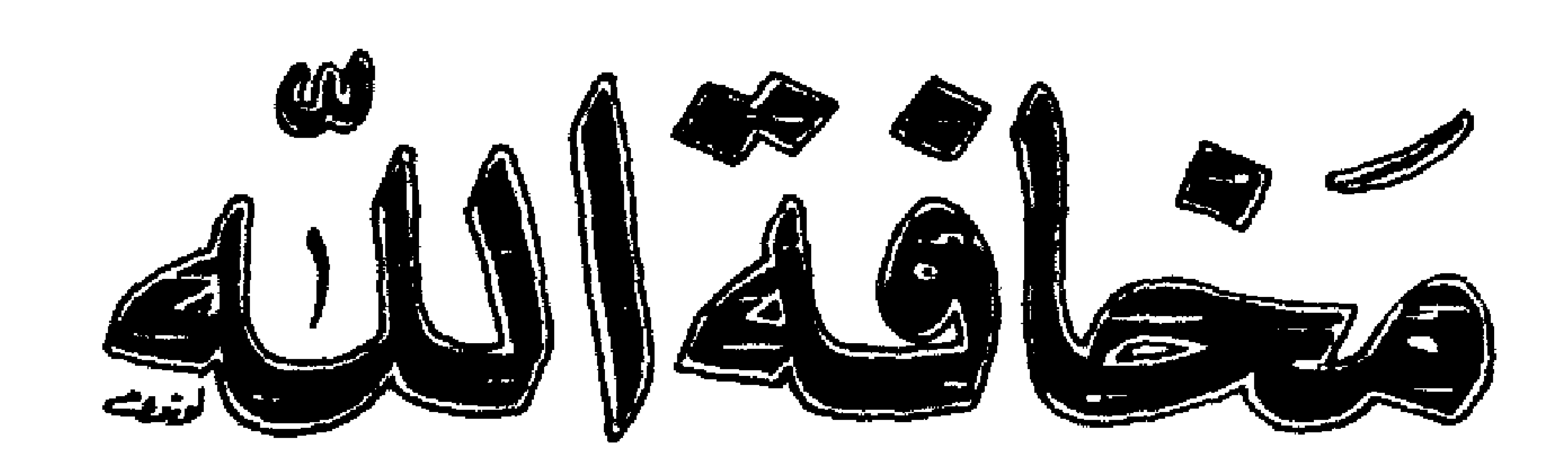
البابا شنوده الثالث

مخافة الله



البابا شنوده الثالث



Fear Of God

By H. H. Pope Shenouda III

1st. Print

Feb. 1994

Cairo

الطبعة الأولى

فبراير ١٩٩٤

القاهرة

الكتاب : مخافة الله .

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .

الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .

لوحات فنية : تاسوني سوسن .

الطبعة : الأولى - فبراير ١٩٩٤م .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست العباسية - القاهرة .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٣/٩٥٧١ .

I.S.B.N. 977 - 5345 - 13 - 8



صاحب القداسة
البابا شنوده الثالث
بطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

مقـــدمة

منذ زمان ، وأنا أود أن أنشر هذا الكتاب .

وذلك لكى يقيم توازناً مع محاضراتى وكتاباتى الكثيرة عن محبة الله وحنانه ورحمته ...

لدرجة أننى فكرت أن أجعله الباب الأخير من كتابى عن (المحبة) الذى نشرته فى العام الماضى .

ثم فضلت أن أجعله كتاباً مستقلاً ...

أولاً : لكى يأخذ حظه من الإهتمام ، ولا يتوه وسط الأبواب الأخرى من الكتاب .

ثانياً : لكى يدخل أيضاً فى مجموعة كتب (التوبة) .

وقد قدمت لكم من هذه المجموعة ثلاث كتب هى :

حياة التوبة والنقاوة - اليقظة الروحية - السهر الروحى .

فليكن كتاب المخافة هو الرابع فى هذه المجموعة .

البابا شنوده الثالث



لماذا نتحدث عن مخافة الله

لعل البعض يتساءل : لماذا نتكلم عن مخافة الله ؟! بينما قد بشرتنا الأناجيل بأن الله أب لنا ، بكل ما تحمل كلمة أب من معانى الحنو والحب ؟.. وقد تعود الناس منا أننا كنا نكلمهم باستمرار عن إلهنا الطيب الحنون ، الذى يعاملنا بكل شفقة ورأفة . ويقابل خطايانا - إذا تبنا - بالمغفرة والتسامح .. فلماذا نتكلم عن المخافة إذن ؟

أقول : إن الناس على نوعين : ونوع يذيبه الحب .. نوع آخر يستغل المحبة مجالاً للاستهانة والاستهتار .

وحتى الذى تذيب المحبة قلبه على نوعين :

فهناك من يحبون الله ، ويعملون كما يليق بالمحبة ، بكل قوة . وتظهر محبة الله فى حياتهم , وفى سلوكهم ، وفى طاعتهم لله ، واتفاق مشيئتهم ورغبة قلوبهم مع مشئية الله .. وهذا هو النوع المثالى ، ولكن ليس جميع الناس مثاليين ..

وهناك من يحبون الله ، وتنقصهم الإرادة والتنفيذ .

المحبة خاتم على قلوبهم ، ولكنها ليست خاتماً على سواعدهم (نش ٨: ٦) . مثال ذلك القديس بطرس الرسول ساعة الإنكار . لقد أنكر السيد المسيح ، ومع ذلك كان يحبه . وقد قال له بعد القيامة "أنت تعلم يارب كل شيء . أنت تعلم أني أحبك " (يو ٢١: ١٧) .

في ساعة إنكاره : أكانت له المحبة ، ولم تكن له المخافة ؟

أقصد مخافة الله .. لأن بطرس كان وقتذاك خائفاً من الناس أن يضروه بسبب صلته بالمسيح . وكان خوفه من الله في ذلك الوقت اقل من خوفه من الناس .. وحتى محبته لله أثناء تلك التجربة ، لم تكن محبة كاملة . لأنها لو كانت محبة كاملة ، لانتصرت على الخوف من الناس ، وما كان قد أنكر الرب ...

يا ليت بطرس في ذلك الوقت ، كانت في قلبه مخافة الله ...

أما النوع الثاني من الناس ، فإنه يخطئ فهم المحبة !

فإذ يعرف أن الله يغلبه حنانه ، فيغفر ولا يعاقب ، لذلك فهذا النوع لا يخاف ، ويخطئ ..!

إنه يتدلل على الله تدللاً خاطئاً غير مقبول .

ويقول في نفسه ، وربما أمام الناس : مادمنا نتعامل مع إله رحوم ، إله حنون شفوق طيب ، فلا نخاف إذن مهما أخطأنا . لابد أن لله سيغفر - إنه غفر للمرأة الزانية ، وغفر لمريم المجدلية التي

أخرج منها سبعة شياطين (مر ١٦: ٩) . إلهنا الطيب قبل إليه زكا العشار، واختار أيضاً متى العشار رسولاً ، وأشفق على الخاطئين..

وهكذا يستهين بمحبة الله ، أقصد محبة الله له . أما هو فلا يكون محباً لله وهو يعصى وصاياه !

لذلك فالحديث عن مخافة الله لازم جداً ، بالنسبة إلى هذا الجيل الذى نعيش فيه ..

ذلك لأننا نعيش فى جيل ، فقد فيه الناس خوف الله : فمنهم من ينكر وجوده ، ومنهم من يهاجمه فينتقد الله ويتهمه . وفى هذا الجيل أيضاً من يتذمر على الله ، ومن يكسر وصاياه بكل جرأة وبلا خوف ..!

هذا الجيل الذى تفشت فيه الاستباحة وألوان من الاستهتار . وأصبح كثيرون يثورون علىالقيم والمبادئ ، ويسيرون بأسلوب قاضى الظلم الذى قيل عنه إنه كان " لا يخاف الله ، ولا يهاب إنساناً " (لو ١٨: ٢) .

نعم ، ينبغى أن نتحدث عن مخافة الله فى هذا الجيل ، الذى نزع فيه الخوف من قلوب الكثيرين ، حتى من الصغار .

وأصبح لا خوف من أب ولا من أم ، ولا من معلم ولا شيخ ، ولا من رئيس .. بل هى ثورة حتى على الأنظمة والقوانين ، وعلى

كل سلطة فى البيت أو فى المدرسة أو فى الشارع ، أو فى العمل..

هذا الوقت يلزمه الحديث عن المخافة ، أكثر من أى وقت آخر..

وقد يحتج البعض بأن المخافة هى من سمات العهد القديم . أما العهد الجديد فهو عهد النعمة والمحبة .

وهذا تعلم خاطئ؛ لأن الله هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد (عب١٣: ٨) . " ليس عنده تغيير ولا ظل دوران " (يع ١: ١٧) . إن كانت هناك مخافة فى العهد القديم ، فقد كانت فيه وصية المحبة أيضاً " تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك " (تث ٦: ٥) . وقال السيد المسيح إنه بهذه المحبة " يتعلق الناموس كله والأنبياء " (مت ٢٢: ٤) .

وإذ ثبت العهد الجديد هذه المحبة ، فإنه تحدث عن المخافة أيضاً، فى اقوال السيد المسيح ورسله القديسين . يكفى أن أسجل قول السيد الرب :

" أريكم ممن تخافون : خافوا من الذى بعد ما يقتل ، له سلطان أن يلقى فى جهنم . نعم أقول لكم : من هذا خافوا " (لو ١٢: ٤، ٥) (مت ١٠: ٢٨) .

وهكذا عبارة الخوف ثلاث مرات فى وصية واحدة ، بدأها

بعبارة " أقول لكم يا أحبائى .." (لو ١٢: ٤) . إذن المحبة لا تتعارض مطلقاً مع الخوف .

والقديس بطرس يقول للكل " سيروا زمان غربتكم بخوف " (١بط ١: ١٧) . ويقول للنساء " ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف" (١بط ٣: ٢) .

صدقنى يا أبى ومعلمى القديس بطرس ، لقد تحدثت عن الخوف فى رقة ، فهوذا القديس بولس يقول :

" **تمموا خلاصكم بخوف ورعدة** " **(فى ٢: ١٢)** .

فأضاف إلى الخوف كلمة الرعدة ، وهى أشد ...

ولعل من أوضح الآيات الكتابية عن المخافة فى العهد الجديد هى قول القديس بولس الرسول أيضاً " مكملين القداسة فى خوف الله " (٢كو ٧: ١) .

ويقول القديس يهوذا الرسول " ارحموا البعض مميزين . وخلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار ، مبغضين حتى الثوب المدنس من الجسد " (يه ٢٢، ٢٣) .

وبهذا نرى أن الخوف يصلح أن يكون أسلوباً من أساليب الرعاية وانقاذ النفوس .

البعض نرحمه مميزين . والبعض نخلصه بالخوف ، نخطفه من

النار حتى لا يحترق . فالنفوس ليست كلها واحدة . منها بلا شك من ينفعه الخوف .

وفي هذا المعنى نفسه يقول القديس بولس لتلميذه تيموثاوس الأسقف " الذين يخطئون ، وبخهم أمام الجميع ، لكي يكون عند الباقين خوف " (١تى ٥: ٢٠) . هذا الخوف نافع ، حتى لا يستهتر الباقون ...

وكانت سياسة الخوف نافعة فى معاقبة حنانيا وسفيرا .

لأنه كان من الممكن أن يتكرر الخطأ الذى صدر من حنانيا وسفيرا ، ويسلك بنفس سلوكهما آخرون . ولكن لما أوقع القديس بطرس عليهما العقوبة ، على الرغم من شدتها ، يقول سفر أعمال الرسل " فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة ، وعلى جميع الذين سمعوا بذلك " (أع ٥: ١١) . وكان هذا الخوف لصالح الكنيسة واستقرارها منذ تأسيسها .

هكذا عاشت الكنيسة فى تعليمها منذ أيامها الأولى . لماذا يحاول البعض إذن - فى هذه الأمور الروحية - أن يفرّق بين تعليم العهد القديم وتعليم العهد الجديد ؟! أليس الكتاب وحدة واحدة متجانسة ، يقول عنها الرسول :

كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوبيخ ،

للتقويم والتأديب الذى فى البر " (٢تى ٣: ١٦) .

إن إله العهد القديم ، هو نفسه إله العهد الجديد لم يتغير . فلا تظنوا أن الله كان مشدداً من جهة الخطية فى العهد القديم ، ومتساهلا من جهتها فى العهد الجديد !! .. حاشا . فالخطية هى هى فى كل بشاعتها . والله هو هو ، الكلى الصلاح ، والكلى القداسة ، والكلى العدل ، فى العهدين كليهما ...

ليس العهد القديم إذن هو عهد الخوف والعقوبة ، وليس العهد الجديد هو وحده عهد النعمة والمحبة .

فالخوف والفرح فيهما كليهما . الفرح للذين يؤمنون ويثبتون فى الإيمان . والخوف لغير المؤمنين ، وللذين يسقطون أو ينحرفون .

وليس العهد القديم هو عهد التهديد والوعيد ، بينما العهد الجديد هو عهد الوعود !!..

فالوعيد والوعود فيهما معاً . ولا ننسى أنه فى العهد الجديد يقول الإنجيل :

" كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تقطع وتلقى فى النار " (مت٣: ١٠) .

ويقول السيد المسيح فى كل محبته " إن كان أحد لا يثبت فىّ ، يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ، ويطرحونه فى النار فيحترق "

(يو ١٥: ٦) .

إن الله يعرف طبيعة الإنسان ، ويعرف أن المخافة نافعة ولازمة لهذه الطبيعة . ولذلك تحدث عن المخافة فى كلا العهدين ، القديم والجديد .

وفى العهد القديم ، لم يتحدث عن المخافة فقط فى مجال التهديد ، بل فى مجال الحب والنعمة أيضاً .

فقيل فى سفر المزامير :

" سر الرب لخائفيه " (مز ٢٥: ١٤) .

" عين الرب على خائفيه " (مز ٣٣: ١٨) .

" ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم " (مز ٣٤: ٧) .

" خلاصه قريب من خائفيه " (مز ٨٥: ٩) .

" قويت رحمته على خائفيه " (مز١٠٣: ١١) .

" يتراءف الرب على خائفيه " (مز ١٠٣: ١٣) .

" من هو الإنسان الخائف الرب . يعلّمه طريقاً يختاره . نفسه فى الخير تبيت . ونسله يرث الأرض " (مز ٢٥: ١٢) .

ويقول الرب فى سفر ارمياء النبى " وأعطيهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ، ليخافونى كل الأيام لخيرهم وخير أولادهم " " وأقطع لهم عهداً أبدياً أنى لا أرجع عنهم ، لأحسن إليهم ، وأجعل مخافتى فى

قلوبهم ، فلا يحيدون عنى " (أر ٣٢: ٣٨- ٤٠) .

وفى العهد الجديد ، وردت مخافة الله مرتبطة بفضائل ، وعدم المخافة مرتبطا بالخطية .

فقد قيل عن كرنيليوس البار إنه " تقى وخائف الله مع جميع بيته، يصنع حسنات كثيرة للشعب، ويصلى كل حين" (أع ١٠: ٢).

وامتزج الخوف مع تمجيد بالنسبة للذين رأوا شفاء المفلوج "فأخذت الجميع حيرة ، ومجدوا الله وامتلأوا خوفاً ، قائلين إننا قد رأينا اليوم عجائب " (لو ٥: ٢٦) .

وعند إقامة ابنة أرملة نايين " أخذ الجميع خوف ، ومجدوا الله " (لو ٧: ١٦) .

وفى سفر الرؤيا ، رأى القديس " ملاكاً طائراً فى وسط السماء، معه بشارة أبدية ليبشر الساكنين على الأرض ، وكل أمه وقبيلة ولسان وشعب ، قائلاً بصوت عظيم " خافوا الله وأعطوه مجداً " (رؤ ١٤: ٦، ٧) .

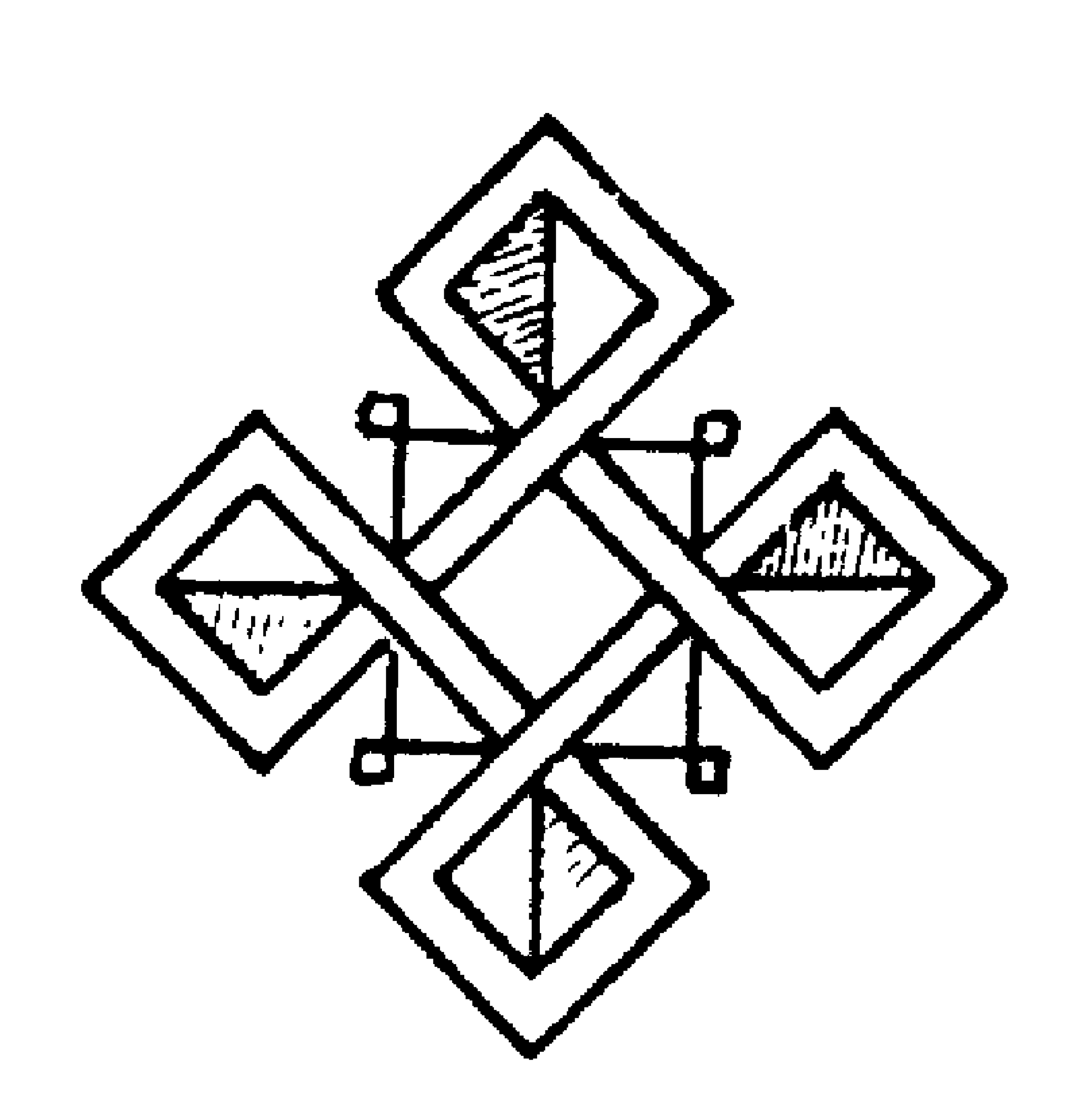
ورأى القديس يوحنا ملائكة يسبحون الله قائلين " **من لا يخافك يارب ويمجد اسمك ، لأنك أنت وحدك قدوس " (رؤ ١٥: ٤) .**

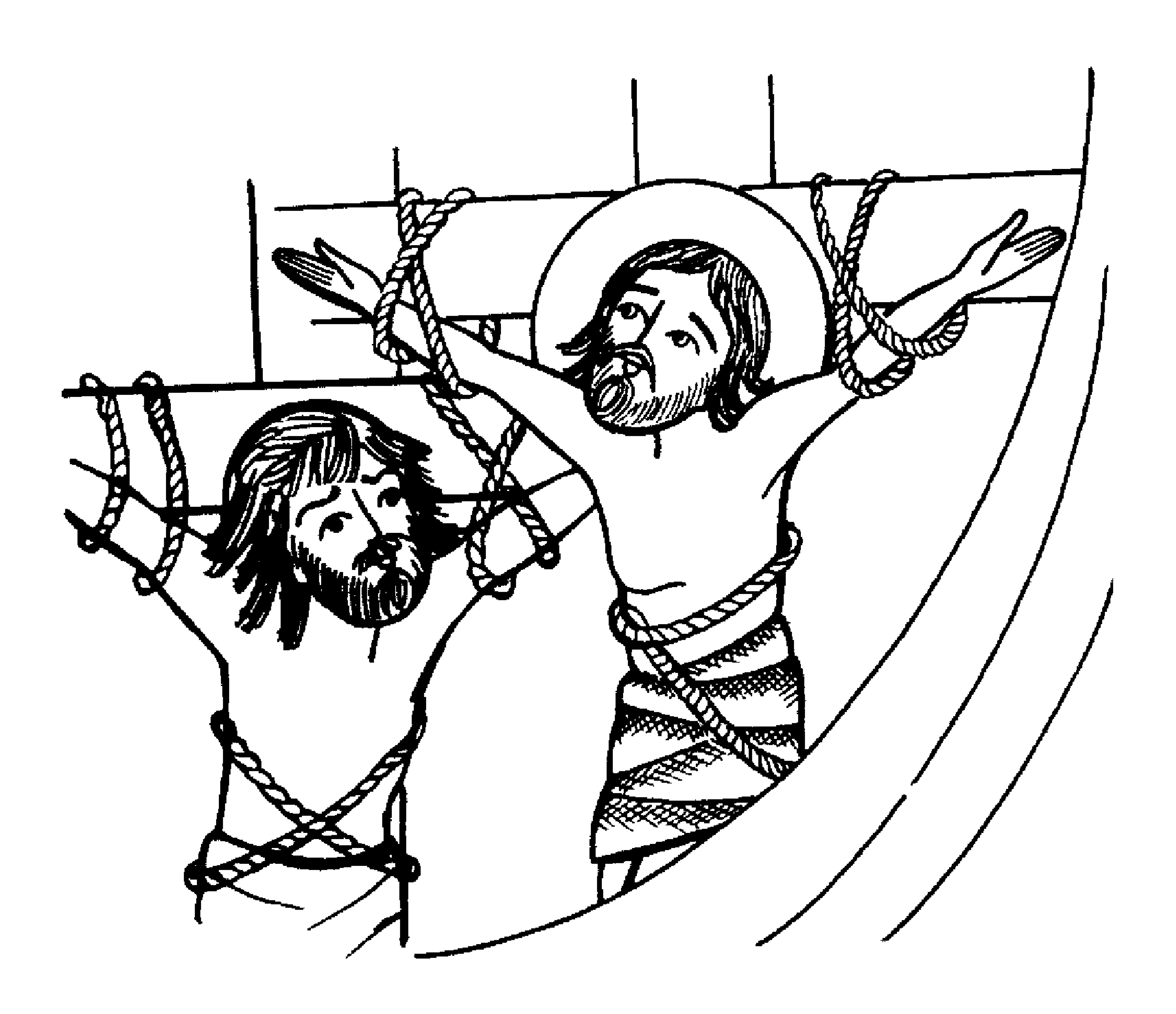
ويشبه هذا قول القديس بطرس الرسول " أحبوا الأخوة . خافوا الله " (١بط ٢: ١٧) .

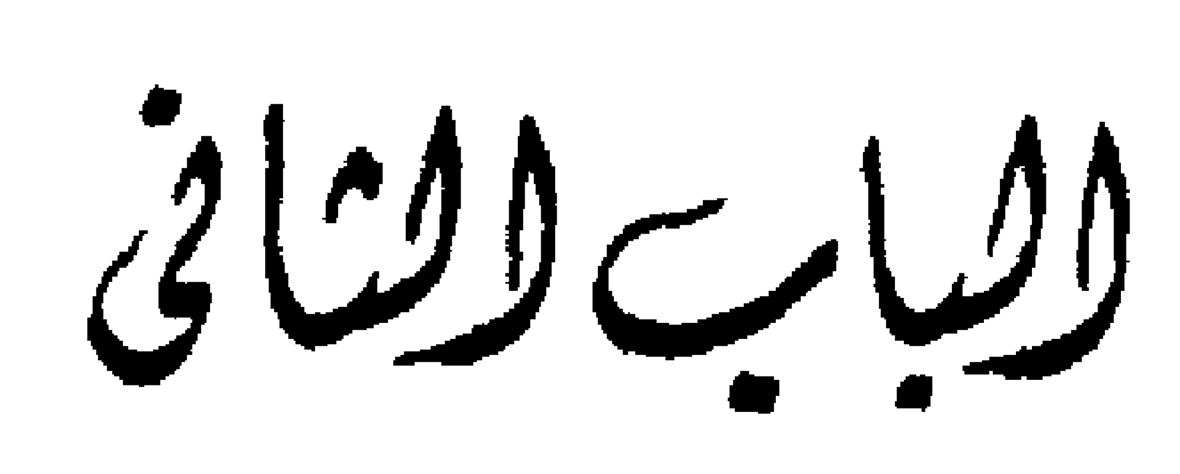
وكما تمتزج المخافة بالفضيلة ، يمتزج عدم المخافة بالخطية . وهكذا نجد على الصليب ، أن اللص التائب ينتهر اللص الآخر الذى كان يجدف ، ويقول له " أو ما تخاف الله ، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه؟! أما نحن فبعدل ننال استحقاق ما فعلنا " (لو٢٣: ٤٠، ٤١).

وقيل عن قاضى الظلم إنه " لا يخاف الله " (لو ١٨: ١) .

وأبونا ابراهيم أبو الآباء ، لما تغرب فى أرض جرار ، وصف شرها بقوله " إنى قلت ليس فى هذا الموضع خوف الله البتة . فيقتلوننى لأجل امرأتى " (تك ٢٠: ١١) .







أسباب الخوف

الخوف يرتبط بالخطية

إن الملائكة – وهم يتكللون بالبر – لا يخافون . أما البشر وهم يسقطون في الخطايا كل يوم ، فإن الخوف يلاحقهم ، لأنه لاصق بالخطية . هو يسبقها ، وهو أيضاً يلحقها . وهو مرتبط بها على الدوام .

أول نوع من الخوف ، هو خوف السقوط :

هو خوف يسبق الخطية ، وهو نافع إن دفع صاحبه إلى الحرص . الإنسان الذى يحب أن يحيا حياة طاهرة يخاف من السقوط . لأنه قيل عن الخطية إنها طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء " (أم ٧: ٢٦) . نعم ، هذه الخطية التى أسقطت جبابرة أمثال داود وسليمان وشمشون ، والتى اسقطت رسلاً مثل بطرس ومثل توما ... لذلك يقول القديس بولس الرسول محذراً ...

" **لا تستكبر ، بل خف** " (رو ١١: ٢٠) .

حتى الإنسان الروحى ، ينبغى أيضاً أن يخاف السقوط ، ليس

عن رعب ، إنما عن حرص . ذلك بسبب عنف الحروب الروحية وقوة الشيطان المخادع الذى قال عنه القديس بطرس الرسول "اصحوا واسهروا ، لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو " (١بط ٥: ٨) . وقال القديس بولس الرسول عن المحاربات الروحية "فإن محاربتنا ليست مع لحم ودم ، بل مع الرؤساء مع السلاطين .. مع اجناد الشر الروحية فى السماويات .." (أف ٦: ١٢) . ولذلك فإنه يقول أيضاً " من يظن أنه قائم فلينظر لئلا يسقط " (١كو ١٠: ١٢) . بل إنه قال عن نفسه ، ليحذرنا :

" **اقمع جسدى واستعبده ، حتى بعد ما كرزت للآخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً** " (١كو ٩: ٢٧) .

نعم ، ما أخطر هذه العبارة ، يقولها رسول عظيم قد صعد إلى السماء الثالثة ، وتعب أكثر من جميع الرسل . لذلك على الإنسان الروحى أن يبذل كل جهده ، ويبعد عن كل أسباب الخطية ومصادرها خوفاً من أن يسقط !!

يفعل هذا ، حتى إن كان قد سار شوطاً فى الحياة بالروح ، لعله يحدث له كما حدث لأهل غلاطية الذين وبخهم الرسول قائلاً :

" **أبعد ما ابتدأتم بالروح، تكملون الآن بالجسد؟! (غل ٣: ٣).**

ليس المهم إذن كيف بدأنا ؟ أو كيف نحن الآن ؟ وإنما ماذا

سنكون ، وكيف ستكون نهاية سيرتنا ..

هذا هو أول خوف يرتبط بالخطية وهو خوف السقوط . ويستغله الروحيون لفائدتهم ، مستمعين إلى قول المرتل فى المزمور " طوبى للإنسان الذى لم يسلك في مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس .." (مز ١) .

فإن أخطأ الإنسان يقع فى خوف آخر ، هو خوف الانكشاف .

يخاف أن يعرف الناس خطيئته ، وأن ينكشف ، فيقع فى الفضيحة والعار ، ويتعرض لألسنة الناس التى لا ترحم ، وتصبح سمعته مضغة فى أفواههم ..!

لذلك يقول علماء النفس أن المجرم كثيراً ما يحوم حول مكان جريمته ، خائفاً من أن يكون قد ترك هناك أثراً يدل عليه .. وهذا العامل النفسانى يستغله المحققون . فإن أشاروا إلى شئ من آثار الجريمة ، قد يضطرب المجرم أو ينهار .

ومن أجل خوف الإنكشاف نلاحظ ملاحظة هامة وهى :

إن الخطية كثيراً ما تعمل فى الظلام وفى الخفاء .

وهكذا قيل عن الخطاة أنهم " احبوا الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو ٣: ١٩) "لأن كل من يعمل السيئات

يبغض النور ، لئلا توبخ أعماله . وأما من يعمل الحق ، فيقبل إلى النور ، لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة " (يو ٣: ٢٠، ٢١) .

ولهذا فإن الأبرار يلقبون بابناء النور ، والأشرار بأبناء الظلمة ، لأنهم يدبرون خطاياهم فى الخفاء .

لذلك يخافون من اليوم الأخير الذى تنكشف فيه الأعمال ، وتفتح الأسفار ، وتفحص الأفكار والنيات .

أين يهربون فى ذلك اليوم ؟ وأين يختفون ؟!

إن كانت خطاياهم لا تنكشف على الأرض ، بأسباب وطرق شتى ، فلابد أنها ستنكشف أمام الديان العادل وأمام الكل فى يوم الحساب ... يخافون من أن الذى يقال فى المخادع ، يُنادى به فوق السطوح . ويخافون من تلك العبارة الرهيبة التى قالها الرب :

ليس مكتوم لن يُستعلن ، ولا خفىّ لن يعرف (مت ١٠: ٢٦).

أين يخفون وجوههم إذن ؟ حين لا تكون هناك أسرار ولا خفايا، بل الكل معلن والكل معروف ..

بل هناك أمر آخر يخاف منه الإنسان الروحى ، وهو أن خطاياه قد تكون مكشوفة أمام أرواح الذين انتقلوا من هذا العالم ، سواء أحبائه الذين كانوا يثقون به فيندهشون ! أو أمام الذين كانوا ينتقدونه فيرون أنهم كانوا على حق ..!

لعل إنسان يسأل : وماذا ترانى أفعل إذن ؟

أقول لك إن التوبة تمحو خطاياك ، وكأنك لم تفعلها . تغسلك فتبيض أكثر من الثلج .. ولا تعود لك خطايا تخاف من أن تنكشف.. فإن كنت تخاف الانكشاف ، تب . وحينئذ يفرح بك ملائكة الله وأرواح القديسين . لأنه يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب (لو ١٥: ٧) .

نوع آخر من الخوف يرتبط بالخطية ، وهو خوف العقوبة ، أو الخوف من نتائج الخطية ..

أبونا آدم لما أخطأ ، خاف واختبأ خلف الشجر . تحولت علاقته مع الله من حب إلى خوف . وقايين القاتل ، وقع ليس فى الخوف فقط بل فى الرعب . وهكذا قال لله " ذنبى أعظم من أن يُحتمل . إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك اختفى . وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض " (تك ٤: ١٣، ١٤) . وداود النبى أيضا لما أخطأ خاف . وقال " يارب لا تبكتنى بغضبك ، ولا تؤدبنى بسخطك . إرحمنى يارب فإنى ضعيف . اشفنى فإن عظامى قد اضطربت " (مز ٦) .

والخاطئ يخاف من عقوبتين : أرضية وسماوية :

أما العقوبة السماوية ، فهى رهيبة وأبدية . وأرجو أن أتحدث

عنها بالتفصيل فيما بعد .

وأما العقوبة الأرضية فهى كذلك على أنواع :إما عقوبة من المجتمع : فضيحة واحتقار ، أو نبذ هذا الإنسان من المجتمع ، أو عدم الثقة به فى المستقبل.. أو عقوبة من القانون مثل السجن، أو ما هو أشد.. أو عقوبة يوقعها الله عليه من مرض أو عاهة أو اللعنات التى وردت فى (تث ٢٨) ، أو عقوبة تصيبه فى أولاده واحفاده .

هناك خوف روحى أيضاً يتابع الخاطئ ، أو يخافه الإنسان المحترس من السقوط .

إنه يخاف من غضب الله عليه ، أو رفض الله له ، مثلما رفض شاول الملك من قبل (١صم ١٦) .

يخاف أن يحزن الروح أو يطفئ الروح ، بل يخاف أن يفارقه روح الله (١صم ١٦: ١٤) أو أن تتخلى عنه النعمة ، ويسلمه الله إلى ذهن مرفوض ، أو يسلمه إلى شهوات قلبه (رو ١: ٢٨، ٢٤).

يخاف أن يفقد صورته الإلهية التى خلقه الله بها فى البدء. ويخاف لئلا يأخذ أحد إكليله وتتزحزح منارته من مكانها (رؤ٢: ٥)

يخاف أن يأخذ العدو سلطاناً عليه ، ويأتى وقت عليه يفقد فيه إرادته ، ويفقد حرية أولاد الله . والشر الذى ليس يريده ، إياه يفعل (رو ٧: ١٩) .

وهكذا يخاف أيضاً أن يتطور إلى أسفل وإلى أسوأ .

يخاف من قول الرب له : أنا عارف أعمالك ، أن لك إسماً أنك حى وأنت ميت (رؤ ٣: ١) .

يخاف أن يأتيه الموت فجأة ، وهو فى حالة غفلة ، وغير مستعد لملاقاة الله ...

أحد القديسين قال إنى أخاف من ثلاثة أمور :

أخاف من لحظة مفارقة روحى لجسدى. وأخاف من ساعة الوقوف أمام الديان العادل، كذلك أخاف من لحظة صدور الحكم علىّ ...

فإن كان القديسون يخافون مع ارتفاعهم العجيب فى حياة الفضيلة ، فماذا نقول نحن عن أنفسنا ؟!

الذى يخاف الله لا يخطئ. والذى يخطئ هو إنسان لا يخاف الله .

الذى يخاف الله لا يظلم، لأنه يخاف الله الذى يحكم للمظلومين. والذى يخاف الله لا يتدنس ، لأنه يعرف أن الله قدوس.

والذى يخاف الله لا يعمل الشر حتى فى الخفاء ، لأنه يعرف أن الله يرى كل شئ ، ويسمع كل شئ ، ويفحص حتى أعماق القلوب.

ولعل البعض يسأل : ما رأيك إذن فيمن يفعل الشر ولا يخاف؟

نقول إنه وصل إلى حالة الاستهتار أو اللامبالاة . أو أن ضميره

مريض أو متعطل عن العمل . أو أن دوامة العالم تجرفه ولا تعطيه فرصة لمراجعة نفسه ولا للتفكير في أعماله . فهو في غيبوبة روحية : إن استيقظ منها لابد سيخاف . وبعض من مثل هؤلاء الناس ، نراهم في ساعة الموت ، أو إذا اقتربوا من الموت ، لابد أن الخوف يرعبهم . لأنهم لم يعملوا لأجل تلك الساعة ولم يستعدوا لها ... ويشعرون أنهم أضاعوا حياتهم .

تقول : أريد أن أحيا حياة الحب وليس الخوف .

أقول لك : إذن لا تخطئ ، فالخطية مرتبطة بالخوف .

يقيناً أن الشخص الذى يخطئ ، كان فى وقت خطيئته لا يخاف الله . أو يقول المزمورعن أمثال هذا الإنسان " لم يسبقوا أن يجعلوا الله أمامهم " . لو كنتم بلا خطية ، لا تخافوا .

ولو أخطأتم وعدتم فاصطلحتم مع الله ، وندمتم ووبختم أنفسكم وعاقبتموها ، وعشتم في حياة التوبة ، حينئذ سوف لا تخافون ...

أما ونحن خطاة ، فقد وهبنا الله المخافة لكى نصلح مسارنا .

استمع إلى قول الرسول " فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه " (عب ٤ : ١) .

وإن كنت تريد ألا تخاف فى ذلك اليوم ، فلتخف الآن . والخوف يمنعك من الخطية ، ويمنع عنك الخوف فى اليوم الأخير .





الباب الثالث

فوائد مَخافة اللّـه

١ – مخافة الله توصل إلى التوبة وتنفيذ الوصايا .

إنها تمنع من فعل الخطية قبل إرتكابها . أما إن ارتكب الإنسان الخطية ، فإنها تعطيه رعباً من نتائج الخطية ومن عقوبة الله . وهكذا تقوده إلى التوبة والرجوع إلى الله ...

مخافة الله إذن تحفظنا من السقوط , وإن حدث وسقطنا ، تعطينا التوبة ...

٢ – مخافة الله هي بداية الطريق ، وهي سياج للحياة الروحية حتى لا تعثر ولا تنحرف .

بها نضع الله أمامنا . ونقول مع يوسف الصديق : كيف أفعل هذا الشر العظيم ، وأخطئ إلى الله (تك ٣٩: ٩) . لذلك فالذى يخاف الله لا يخطئ ، لأنه يخاف من الله العادل ، الذى وضع مبدأ " أجرة الخطية هى موت " (رو ٦: ٢٣) . كذلك يخاف الله العالم بكل شئ، الذى يقول " أنا عارف أعمالك" (رؤ ٣: ١، ١٥) .يخاف أيضاً من إنذارات الله وعقوباته . لذلك يمتنع عن الخطية ، وينفذ

الوصايا. وتكون مخافة الله فى قلبه حصناً يمنعه من السقوط .

٣ - الذى يخاف الله ، يطيع الله ، أما الذى لا يطيعه ، فهو شاهد على نفسه أنه لا يخاف الله ...

إنه يطيع الله ، ويفعل ما يوافق مشيئته الإلهية . فقد قال الرب فى سفر أرمياء النبى " ويكونون لى شعباً ... وأنا أكون لهم إلهاً .. أعطيهم قلباً واحداً ، وطريقاً واحداً ، ليخافونى فى كل الأيام لخيرهم... وأجعل مخافتى فى قلوبهم ..." (أر ٣٢: ٣٨- ٤٠) .

٤ - مخافة الله تعلم الإنسان حياة الحرص والتدقيق :

فالإنسان الذى يخاف الله يكون مدققاً فى كل ما يعمله ، وحريصاً فى كل ما ينوى أن يفعله . لأنه يخاف لئلا يسقط ويغضب الله . بينما يحذرنا الرسول قائلاً "من يظن أنه قائم ، فلينظر لئلا يسقط " (١كو ١٠: ١٢). ويقول أيضاً "لا تستكبر بل خف" (رو١١: ٢٠) .

صدقونى ، إن المخافة وإن كان البعض يتعب منها نفسياً ، إلا أنها تفيده روحياً لكى يحترس .

ولكى يفكر كثيراً كلما وقفت أمامه عثرة ، ويبذل جهده لئلا يسقط .

أما إذا لم توجد مخافة الله فى القلب ، فما أسهل أن ينطبق عليه

المثل " إذا لم تستحِ ، فافعل ما تشاء !!" ..

٥- كثيرون من الذين تركوا المخافة ، تحولوا إلى الاستهتار.

وتحولوا إلى اللامبالاة .. يقولون : لنعش فى المحبة ... حسناً ، وهل المحبة تمنع الحرص والتدقيق فى الحياة الروحية ؟! .. وغالبية هؤلاء - فى فقدان المخافة وصلوا إلى كبرياء القلب ، وإلى قساوة القلب ، وفقدوا أيضاً المحبة التى يدعونها ...

٦ - الذى يتدرب على المخافة ، يصل أيضاً إلى الأدب فى مخاطبة الله ...

لأن الذين يدعون أنهم يحيون فى محبة الله ، دون أن يعبروا على مخافة الله .. كثيراً ما يعاتبون الله فى صلواتهم باسلوب خالٍ من الأدب اللائق بمخاطبة الله . وباسم الدالة يخطئون فى غير مخافة !!

هوذا أبونا ابراهيم - على الرغم من الدالة الكبيرة التى بينه وبين الله ، يقول أثناء تشفعه فى سادوم ، " شرعت أن أكلم المولى، وأنا تراب ورماد " (تك ١٨: ٢٧) .

هوذا الله يقول فى سفر ملاخى النبى " الابن يكرم أباه ، والعبد يكرم سيده . فإن كنت أنا أباً ، فأين كرامتى . وإن كنت سيداً ، فأين هيبتى ؟!" (ملا ١: ٦) .

٧ - مخافة الله تقود أيضاً إلى الجدية فى الحياة الروحية :

بينما هناك أشخاص باسم (المحبة) لا توجد فى حياتهم ضوابط على الإطلاق . حياتهم تسيب، بلا جدية !! لا يحرصون على شئ، ولا يهتمون بشئ ، ولا ينفذون شيئاً . ويظنون أن الارتباط بالجدية فى تنفيذ الوصية ، نوعاً من الناموس !! ويقولون إننا لسنا تحت ناموس !! وبهذا يصلون إلى التسيب ، وعدم الإلتزام بشئ !

أما الإنسان الروحى الذى يخاف الله ، فإنه يكون ملتزماً .

ويكون أيضاً إنساناً جاداً ، وأميناً فى القليل ... ذلك لأن مخافة الله على الدوام أمام عينيه .

أما الذى لا يخاف الله ، فإنه لا يكون ملتزماً ولا جاداً . وللأسف نجد هذا أحياناً فى محيط الخادم ، فربما يدعى أحدهم إلى اجتماع هام للشباب ، ويعد ولا يحضر . ويقدم اعتذار بعد فوات الفرصة . أما الذى يخاف الله ، فإنه يكون ملتزماً فى مواعيده . ويقول فى قلبه إن الله سيحاسبنى عن كل نفس أهملتها فى الاجتماع.

وتجده مدققاً وحريصاً وملتزماً فى خدمته وأميناً ، ذلك لأن مخافة الله أمام عينيه ...

٨ - مخافة الله تقود أيضاً إلى الإتضاع وانسحاق القلب .

وبالاتضاع يقول : من أنا التراب حتى اتحدى الله وأكسر وصاياه ؟! وحتى إن وقف يصلى ، يقول : من أنا حتى أقف أمام الله ؟! ومن أنا حتى أتكلم مع الله ؟! وأمامنا في هذا المجال قصة الفريسى والعشار :

إن العشار – في مخافته لله – عندما دخل إلى الهيكل ، " وقف من بعيد ، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء . بل قرع على صدره قائلاً : اللهم ارحمنى أنا الخاطئ " . ذلك لأنه كان واقفاً في مخافة الله . وأوصلته المخافة إلى انسحاق القلب . لذلك خرج مبرراً دون ذلك الفريسى الذى – في غير مخافة – وقف أمام الله مفتخراً بصومه ، وعشوره ، بل وقف يدين العشار ، ويقول إنه أفضل من سائر الناس الخاطفين الظالمين الزناة (لو١٨: ١٠– ١٤).

٩ – المخافة تلد الخشوع . والخشوع يلد الدموع .

الإنسان الذى يخاف الله ، يكون خاشعاً في صلاته ، وفي كل عبادته .إنه يأخذ حرارة في قلبه من مخافته لله . وقد تمتلئ صلاته بالدموع ، نابعة من انسحاق قلبه ... وهكذا كان آباؤنا القديسون ، على الرغم من القمم الروحية العالية التى وصلوا إليها ، لم تفارقهم مخافة الله ، ولا انسحاق القلب ، ولا الخشوع ولا الدموع .

والأمثلة على ذلك كثيرة في سير القديسين .

✪ القديس العظيم الأنبا أرسانيوس ، لما وافته ساعة الوفاة ، ارتعب وخاف . فقال له تلاميذه " أحتى أنت ياأبانا تخاف من هذه الساعة ؟! " فأجابهم القديس العظيم وقال لهم " إن رعب هذه الساعة ملازم لى منذ دخلت إلى الرهبنة " .. هكذا كانت مخافة الله ملازمة له حتى ساعة الموت ...

✪ وكذلك القديس الأنبا سيصوى (الأنبا شيشوى) : لما أتته ساعة الموت ، خاف . فقال له تلاميذه " وأنت أيضاً يا أبانا تخاف؟!" فقال لهم " على قدر طاقتى أطعت وصايا الله . ولكن حكم الناس شئ، وحكم الله شئ أخر" ... وقيل عنه إنه فى ساعة وفاته ، كان يطلب فرصة لكى يتوب !!... هذا القديس المتكامل فى الفضيلة، السامى والعالى فى مستواه ، كان يطلب فرصة لكى يتوب!! فماذا ترانا نفعل نحن ؟!....

أما الإنسان الذى يدعى أنه وصل إلى المحبة ، ويسلك بالدالة مع الله على طول الخط :

فمن الجائز أن يصل إلى اللامبالاة ، ويفقد كذلك روح الإنسحاق. وما أسهل أن هذا التدلل يوصله إلى عدم الاهتمام بكل ما يوصله إلى الله !...

وبعد ذلك يشرب الخطية كالماء .. ويغطى على سقوطه بقوله : إن الله يعرف ضعف البشرية ، وهو حنون غفور !!

أما الذى يسلك فـى مخافـة ، فـإذ يضـع خطايـاه أمـام عينيـه كـل حين، تمتلئ عيناه بالدموع ، وقلبه بالخشوع .

١٠ - الذى يعيش فى مخافة الله ، دائماً يحاسب نفسه :

ولا يحاسب نفسه فقط عن أعمالـه ، وإنمـا حتـى علـى الأفكـار والنيات ، ويحاسب نفسه على عدم النمو ... يحاسب نفسه على كـل صغيرة وكبيرة . ويشعر كما لو أنه واقف أمام جهاز تسجيل يسـجل عليه كل شئ . يسـجل مشـاعره وعواطفـه ، وأفكـاره ونياتـه ، وأخطاء اللسان ، وأخطاء الحواس ... وفى الواقع أن هذا صحيح . فكل تفاصيل حياتنا مسجل علينا .

وهذا المسجل علينا ، سيذاع فى اليوم الأخير .

أمام الملائكة ، وأمام البشر ، جميعاً ... ولكن ثقوا أنكم إن خفتم من هذا ، وتبتم عن جميع خطاياكم ، فكل ما تتوبون عنـه ، يمحـوه الله من جهاز التسجيل ، ولا يعود يحسب عليكم . كما قـال الكتـاب "طوبى للذين غفرت آثامهم وسُترت خطاياهم . طوبى للإنسان الذى لا يحسب له الرب خطية " (رو ٤: ٧، ٨) (مز ٣٢: ١، ٢) .

١١ - وهكذا فإن مخافة الله ، ليست فقـط تقـود إلـى محاسـبة النفس ، وإنما أيضاً إلى لوم النفس ، والندم والتوبة ...

والإنسان الذى يخـاف اللـه يسـتمع إلـى قـول القديـس مقـاريوس

الكبير " احكم يا أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك " . وبالتالى يبكت نفسه على كل ما فعلته ، وما تنوى أن تفعله ، ويبعد عن كل فكر ردئ . وكما قال القديس باخوميوس الكبير " إن خوف الله يحرق الأفكار الردية ، ويطرد كل رذيلة من الإنسان " ...

لذلك فإن مخافة الله توصل إلى نقاوة القلب . وكيف ؟

١٢ – مخافة الله تدفع الإنسان إلى الجهاد والتعب من أجل الله ، ومن أجل الوصول إلى مرضاته ...

مثال ذلك طالب فى الجامعة ، وأمامه مقرر طويل ... ألف صفحة مثلاً ، لم يذاكر منها سوى عشرين صفحة فقط ! لذلك يملكه الخوف الذى يدفعه إلى مضاعفة جهده لكى يصل مهما تعب فى سبيل ذلك .

ونحن مقررنا الروحى هو القداسة التى بدونها لا يعاين أحد الرب الذى قال "كونوا قديسين ، لأنى أنا قدوس " (١بط ١: ١٦)... بل مقررنا الروحى هو الكمال ، حسب قول الرب " كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت ٥: ٤٨) .

ألا نخاف إذن ، والطريق طويل بيننا وبين القداسة والكمال ؟

أو لا يدفعنا الخوف إلا الجهاد والتعب ، وإلى السهر على خلاص أنفسنا " لئلا يأتى بغتة فيجدنا نياماً " (مر ١٣: ٣٦) . وكلما

سرنا فى الطريق ، ووجدنا الكمال لايزال بعيداً ، نصغى بكل اهتمام إلى نصيحة القديس بولس الرسول " أركضوا لكى تنالوا ' 'ومن يجاهد يضبط نفسه فى كل شئ " (١كو ٩: ٢٤، ٢٥) . وهكذا فإن الذى يخاف الله ، تجده فى الطريق الروحى ، دائم الجهاد والركض لا يتوقف . وماذا أيضاً :

١٣ – مخافة الله تقود إلى النمو الروحى :

وفى كل يوم يتقدم ، لأنه يرى طريق الكمال طويلاً ، ويخاف أن يدركه الموت قبل أن يصل .

أحد الرهبان كان يقرأ كتاب الدرجى . ووجد فيه ثلاثين درجة فى سلّم الفضائل ، وأولها الغربة والموت عن العالم . فوضع أمامه لافتة كتب فيها (لسّه بدرى عليك) ... وجاهد لكى ينمو صاعداً فى هذا السلم الروحانى .

إن الذى يخاف الله ، يجاهد باستمرار لينمو صاعداً ، بينما الذى ليست فيه مخافة الله ، قد ينحدر إلى أسفل وأسوأ .

١٤ – الذى فى قلبه مخافة الله ، لا يخاف فقط على نفسه ، بل على غيره أيضاً ، فيسعى لنشر الملكوت .

يهمه أيضاً مصير كل من يعرفهم ، وأبديتهم . يخاف عليهم ، كما كان أيوب الصديق يخاف على أولاده ويقدّم عنهم محرقات (أى

١: ٥) . وهكذا يخاف على خلاص الآخرين ، فيجاهد فى الخدمة لأجلهم ، وينمو فى الخدمة ومحبة الملكوت . كما قال القديس بولس الرسول " كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح ، لأجل اخوتى أنسبائى حسب الجسد " (رو ٩: ٣) .

١٥ - كل هذا يجعل مخافة الله تقود إلى الصلاة .

فالإنسان يجاهد ، ولكنه يرى جهاده ليس كافياً . فيلجأ إلى الصلاة المستمرة ، طالباً من الرب معونة ونعمة ، له ولغيره . إن الخوف على خلاص النفس ، لا يكفيه مجرد الجهاد البشرى . فالرب يقول " بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً " (يو ١٥: ٥) . وهكذا فإن المخافة تقود إلى الالتجاء إلى الله . مثلما خاف بطرس من الغرق وهو يمشى على الماء ، فصرخ إلى الرب الذى أمسك بيده (مت ١٤: ٣٠، ٣١) .. المخافة تدعوك أن تحترس وتدقق . وفى نفس الوقت تقول للرب " اسندنى فاخلص " .

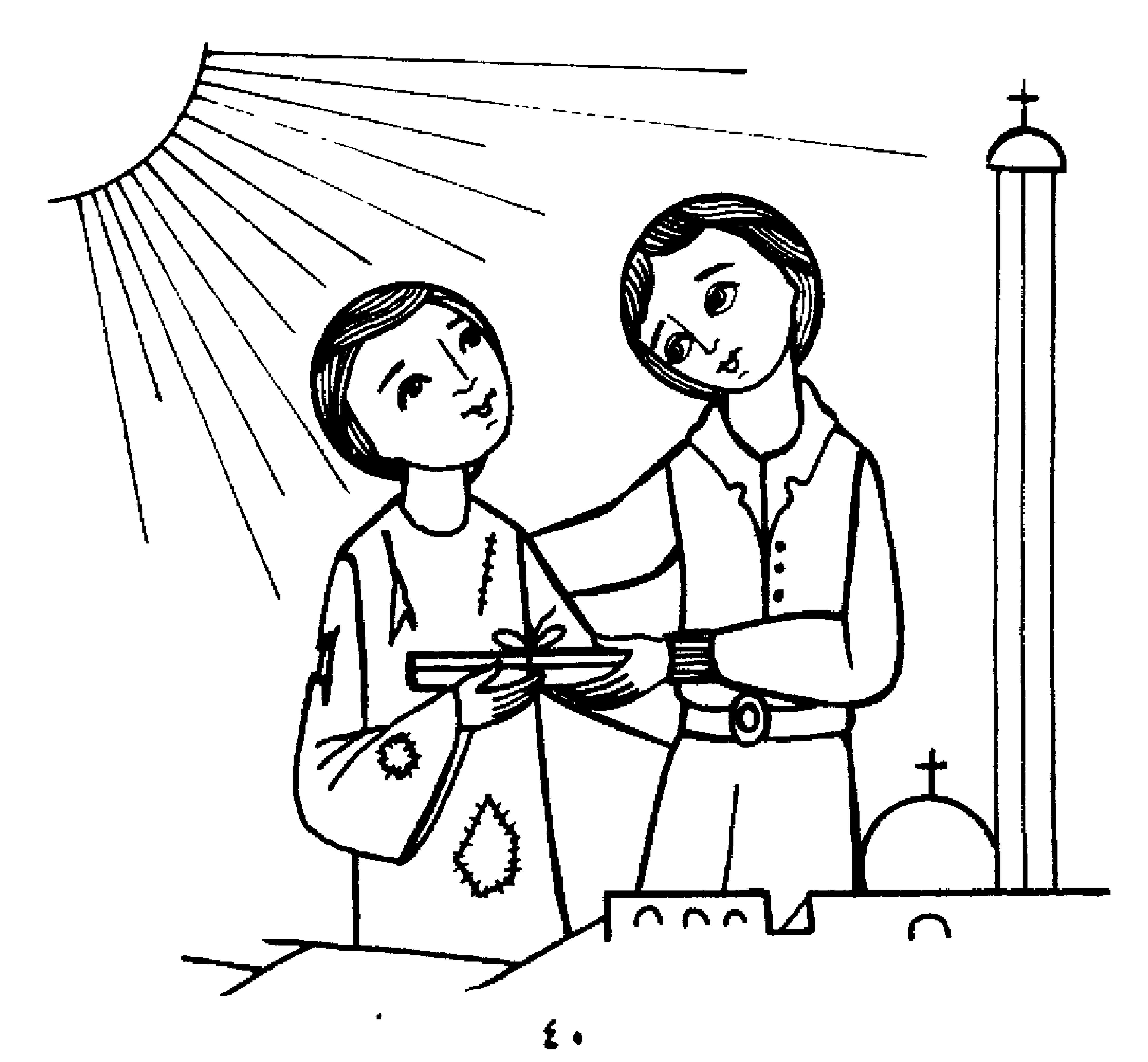
١٦ - مخافة الله أيضاً تدعوك إلى المعرفة ، حتى لا تسقط عن جهل . هذا يدعوك إلى القراءة وإلى المشورة ...

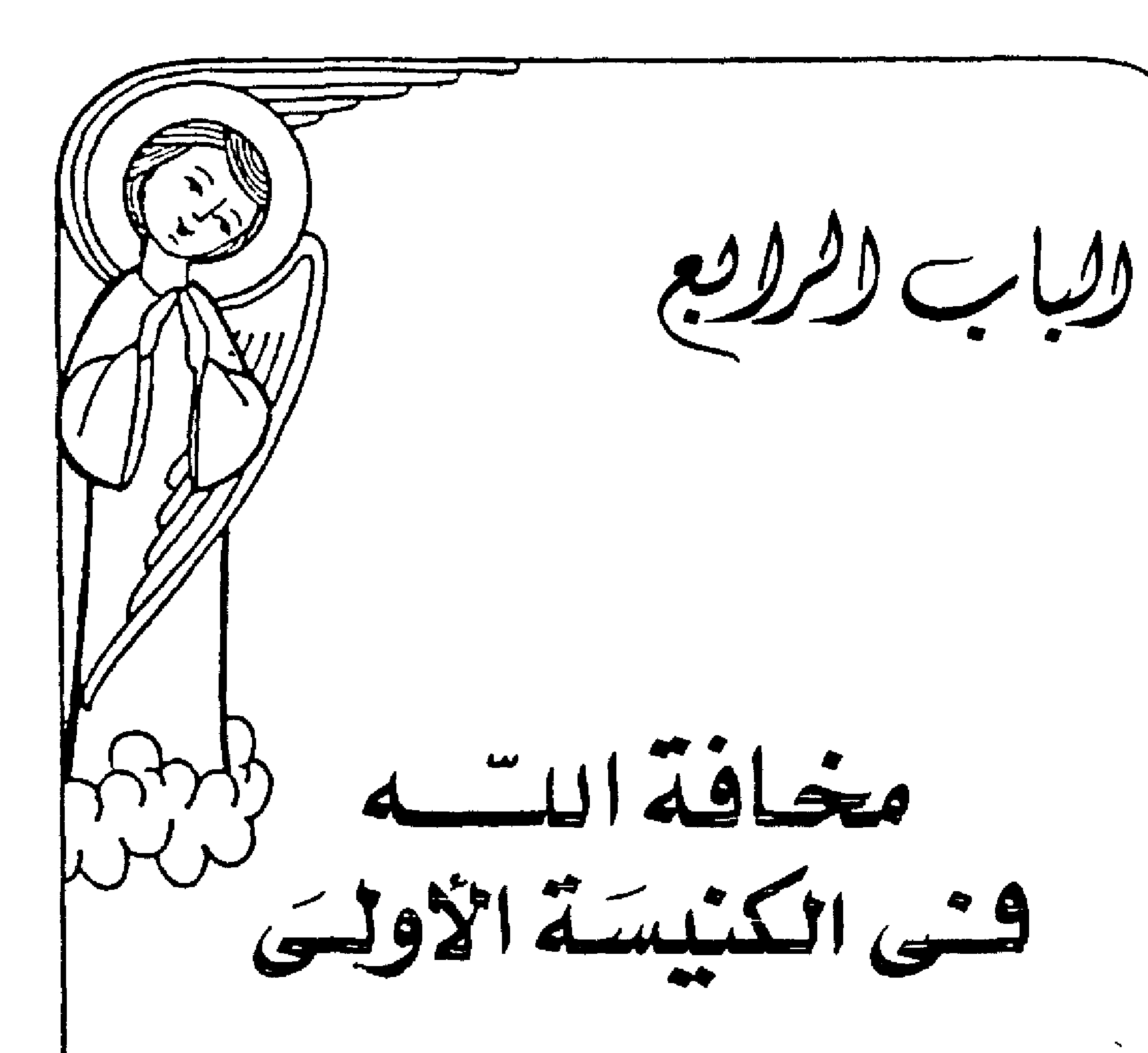
وهكذا تلهج فى كلام الله نهاراً وليلاً ، لكى تستفيد نفسك بوصاياه . وإن وجدت ما يحتاج إلى استرشاد ، تلجأ إلى الآباء الروحيين لكى يشرحوا لك الطريق ، متذكراً قول الكتاب " وعلى

فهمك لا تعتمد " (أم ٣: ٥) .

١٧ - ومخافة الله تدعوك إلى حسن التعامل مع الآخرين .

إذ تخاف من قول الرب " ومن قال (لأخيه) يا أحمق ، يكون مستوجب نار جهنم " (مت ٥: ٢٢) . وهكذا فإن الذى يخاف الله ، لا يجرح شعور أحد . ولا يدين أحدا ، خوفاً من أنه بالدينونة التى بها يدين ، يدان (مت ٧: ٢) . بل يرحم الكل ، لكى يستحق الرحمة، كقول الرب " طوبى للرحماء فإنهم يرحمون" (مت ٥: ٧).





الباب الرابع

مخافة الله في الكنيسة الأولى

ونعنى الكنيسة فى العصر الرسولى ، وفى القرون الأربعة الأولى للمسيحية ، حيث كانت الكنيسة تحرص على مخافة الله ، وعلى التمسك بحياة القداسة، قداسة المؤمنين وقداسة الكنيسة. وكانت حازمة جداً فى حفظ الوصايا الإلهية .

لذلك تميزت الكنيسة بالعقوبات الشديدة التى كانت توقعها على الخطاة فى ذلك الزمان حتى يعيشوا فى خوف الله .

ونحن لا ننسى العقوبة الشديدة التى أوقعها القديس بولس الرسول على خاطئ كورنثوس ، إذ قال " قد حكمت .. أن يُسلم مثل هذا للشيطان لإهلاك الجسد ، لكى تخلص الروح فى يوم الرب" (١كو ٥: ٥) . ونذكر أيضاً حكمه الشديد على عليم الساحر، إذ ضربه بالعمى (اكو ١٣: ١١) ... ونذكر أيضاً قوله لتلميذه تيموثاوس الأسقف :

" الذين يخطئون ، وبخهم أمام الجميع ، لكى يكون عند الباقين خوف " (١تى ٥: ٢٠) .

لأن هذا الخوف يحمى الآخرين من تكرار نفس الخطأ ، أو ما يشبهه . وهناك قصة فى بدء الكنيسة الأولى لا ننساها : وهى معاقبة القديس بطرس لحنانيا وسفيرا اللذين كذبا عليه ، أو كذبا على روح الله الذى فيه ، فعاقبهما أشد عقوبة حتى دون أن يعطيهما فرصة للتوبة . وقال سفر الأعمال فى ذلك :

" **فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة** " (أع ٥: ١١) .

وكان ذلك الخوف نافعاً لردع الناس عن الخطأ ...

ومن العقوبات التى كانت مشهورة فى الكنيسة الأولى ، هى عقوبة عزل المخطئ من جماعة المؤمنين **Excommunication** والتى ذكّر بها القديس بولس أهل كورنثوس بقوله :

" **اعزلوا الخبيث من بينكم** " (١كو ٥: ١٣) .

وكانت هناك عقوبات أخرى خاصة برجال الإكليروس .. قد تصل إلى العزل من الرتبة الكهنوتية **Deposal** .

ومن مخافة الله كان البعض يعترف بخطاياه علانية ، ولا ننسى اعترافات القديس أوغسطينوس التى كتبها فى كتاب يمكن أن تقرأه جميع الأجيال ... إذ كانت مخافة الله فى قلبه . فأراد أن يعاقب نفسه بذكر خطاياه أمام الكل .

إن الله القدوس لا يمكن أن يرضى بالخطية ولا الشر . وهكذا

كان وكلاؤه على الأرض أيضاً (١كو ٤: ١) (تى ١: ٧) . لذلك كانت الكنيسة مملوءة بالقديسين، ولا يدخلها إلى القديسون.

وكانت الكنيسة مقسمة إلى خوارس ، إلى مناطق وصفوف . خورس الباكين ، وخورس الراكعين ، وخورس الموعوظين .. إلى أن يصلوا إلى خورس القديسين الذين يسمح لهم بالتناول .

ولم يكن كل أحد يصرح له بدخول الكنيسة . إذ كما يقول المزمور " ببيتك تليق القداسة يارب " (مز ٩٣) . لذلك كان الخطاة يقفون خارج الكنيسة ، يتضرعون إلى الداخلين والخارجين أن يصلوا لأجلهم . وكثيراً ما كانت الكنيسة تحكم بسنوات من الحرمان على مقترفى الخطية .

ونظراً لأن الكنيسة كانت شديدة فى أحكامها ، كان الناس يسلكون فى قداسة وحرص .

كانت توجد وظيفة هى وظيفة الإيبدياكون أى مساعد الشماس . وهذا كان يحرس أبواب الكنيسة من دخول حيوان مثل كلب أو قط. كذلك كان يحرسها من دخول الخطاة ، فلا يدخلها أشخاص محكوم عليهم بسبب خطاياهم .

والكنيسة فى عقوباتها لم تكن تعرف المحاباة . فكان يحكم على الشخص بالحرمان من الكنيسة ، إذا أخطأ خطية تستوجب ذلك مهما

كان مركزه أو شهرته ..

قصة خاطئة مشهورة

كانت توجد إمرأة من مشاهير الراقصات . ولشهرتها الكبيرة ما كان يصادقها إلا الأثرياء وكبار الموظفين . هذه المرأة ذهبت فى إحدى المرات إلى الكنيسة بزينتها فأوقفها الإيبوذياكون ومنعها من الدخول قائلاً لها " لا يحق لك أن تدخلى الكنيسة لأنك إمرأة خاطئة" وقال ذلك لأنه خادم بالكنيسة ومكلف بهذا الأمر . ولا يسمح لأى شخص خاطئ بالدخول إلى الكنيسة كما يقول الكتاب "اعزلوا الخبيث من وسطكم " . ظلت المرأة تتناقش معه بصوت مرتفع إلى أن وصل صوتها إلى الأسقف . فخرج الأسقف مستفسراً ، فقالت له: " يا سيدى أريد أن أدخل الكنيسة " ، فقال لها الأسقف : "لا تستحقين الدخول إلى الكنيسة لأنك إمرأة خاطئة قالت له : " يا سيدى ما عدت أخطئ مرة أخرى " . فقال لها الأسقف : " إن كنت صادقة فى توبتك فاذهبى أحضرى كل أملاكك إلى هنا " .

فذهبت وأحضرت جميع غناها إلى فناء الكنيسة - التحف والملابس والزينات وكل حاجة تملكها أحضرتها إلى فناء الكنيسة . فأمر الأسقف أن يحرق كل هذا ، لأنه حسب قوانين الكنيسة لا

يدخل فى مالية الكنيسة أجرة زانية . فلما نظرت المرأة كل هذا قالت لنفسها : إن كانوا قد فعلوا بك هكذا على الأرض ، فماذا يفعل بك فى السماء ؟! وتخشعت وسمح لها بالدخول إلى الكنيسة - مجرد سماح فقط . وهكذا دخلت مخافة الله إلى قلبها وتابت . وفيما بعد صارت إحدى القديسات .

القديس يوحنا ذهبى الفم والإمبراطورة

قصة أخرى حدثت فى عهد القديس العظيم يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية ، أتت إلى القديس إمرأة وقالت له " إن الأمبراطورة قد ظلمتها " فطلب القديس إلى الإمبراطورة أن تنصف المرأة ، ولكنها لم تنصفها . وفى يوم جاءت الامبراطورة إلى الكنيسة فى موكبها مع العبيد والحاشية وارادت الدخول ، فخرج القديس يوحنا إلى الباب وأوقف الإمبراطورة ومنعها قائلاً : " لا تدخلى الكنيسة لأنك إمرأة ظالمة " .

إن الأمبراطورة سببت فيما بعد للقديس يوحنا مشاكل كثيرة . ولكن الكنيسة لا يدخلها إلا القديسون ، وليتحمل بعد ذلك ما يحدث، ولذلك كان القديس يوحنا يقول " إن هيروديا مازالت ترجو الملك مرة أخرى لكى يعطيها رأس يوحنا على طبق " . متذكراً ما حدث

لسميه القديس يوحنا المعمدان . ولقد احتمل ذهبي الفم كثيراً لكي تثبت مخافة الله داخل الكنيسة . ولا فرق في ذلك بين الملكة وأي فرد من الشعب ...

قداسة بيت الله

قداس الموعوظين في الكنيسة هو الجزء الأول من القداس الحالي ، الذي تقرأ فيه الرسائل والسنكسار والإنجيل وتلقى العظة . وكانت الكنيسة في العصور الأولى ، قبل أن يرفع الأبرسفارين ، ويبدأ قداس القديسين ، كان يقف الشماس ويقول " لا يقف هرطوقي ها هنا ، لا يقف موعوظ ، لا يقف غير مؤمن " . فيخرج هؤلاء ولا يبقى في الكنيسة إلا المؤمنون القديسون الذين يتناولون من الأسرار الإلهية . ثم يغلق الباب فلا يدخل بعد ذلك أحد ، ولا يخرج أحد . لأنه غير جائز أن يدخل إلى الكنيسة إنسان متأخر بعد رفع الأبروسفارين ، كذلك أيضاً لا يجوز أن يخرج من الكنيسة أحد في اللحظات المقدسة .

لقد كانت الكنيسة شديدة في أحكامها ، ولأجل ذلك كانت مملوءة من المؤمنين القديسين .. نحن الآن نتهاون ونسمح بدخول الأشرار والظالمين ، وتحدث أخطاء داخل الكنيسة ، إذ قد يتشاجر بعض

الأشخاص أو يتشاتمون وهذا طبعاً لا يليق بقداسة بيت الله .

يعقوب أب الآباء عندما أسس بيت إيل ، عندما ظهر له الله فى ذلك المكان قال " ما أرهب هذا المكان ، ما هذا إلى بيت الله ، وهذا باب السماء " (تك ٢٨: ١٧) .

وفى بعض الكنائس توجد هذه الآية مكتوبة على الجدران . لأن الكنيسة لا يدخلها إلى القديسون أما الخطاة فغضب الله معلن عليهم.

إجراءات كنسيّة أخرى

✪ فى الكنيسة الأولى التى تميزت بمخافة الله ، لم يكن الحلّ سهلاً من فم الكاهن . فلم يكن الأب الكاهن يقرأ التحليل لإنسان ، إلا بعد أن يتأكد من توبته ، ومن إصلاح نتائج خطيئته بقدر الإمكان ، كأن يرجع الحق لمن قد ظُلم منه ، كما فعل زكا العشار (لو ١٩: ٨) . وكان الخاطئ التائب يتحمل عقوبة كنسية شديدة . لأن العقوبة تشعره بثقل الخطأ الذى ارتكبه .

✪ **لم تكن الكنيسة تقبل تبرعاً إلا من مال حلال .**

حسب قول المرنم فى المزمور " زيت الخاطئ لا يدهن رأسى" وأيضاً حسب تعليم الكتاب " لا تدخل أجرة زانية إلى بيت الرب إلهك عن نذر ما " (تث ٢٣: ١٨) .

وفى قوانين الآباء الرسل توجد قائمة بالعطايا المرفوضة التى لا تقبلها الكنيسة ، إذا كان مصدرها غير سليم ...

وكما كانت مخافة الله قائمة بالنسبة إلى الخطايا الشخصية ...

كذلك كانت مخافة الله قائمة فى التعامل مع الهراطقة .

وهكذا يقول القديس بولس الرسول " إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به ، فليكن أناثيما" (أى محروماً) (غل ١: ٨) . ويقول القديس يوحنا الحبيب " إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له سلام . لأن من يسلم عليه ، يشترك فى أعماله الشريرة " (٢يو ١٠: ١١) .

وهكذا بمخافة الله كانت الكنيسة مدققة جداً فى أمور التعليم .

وما كانت تقبل أى تعليم غريب . وفى تنقيقها كان كل تعليم غريب ، وكل خطأ ، يُقابل بكل حزم وصرامة وتعقد بسببه المجامع المكانية أو المسكونية ، لتقاومه وتقوم بتحديد الإيمان السليم ، وعزل أصحاب ذلك التعليم الخاطئ وقطعهم من جسم الكنيسة مهما كانت رتبتهم ....

ليتنا نأخذ درساً فى مخافة الله من الكنيسة الأولى ...

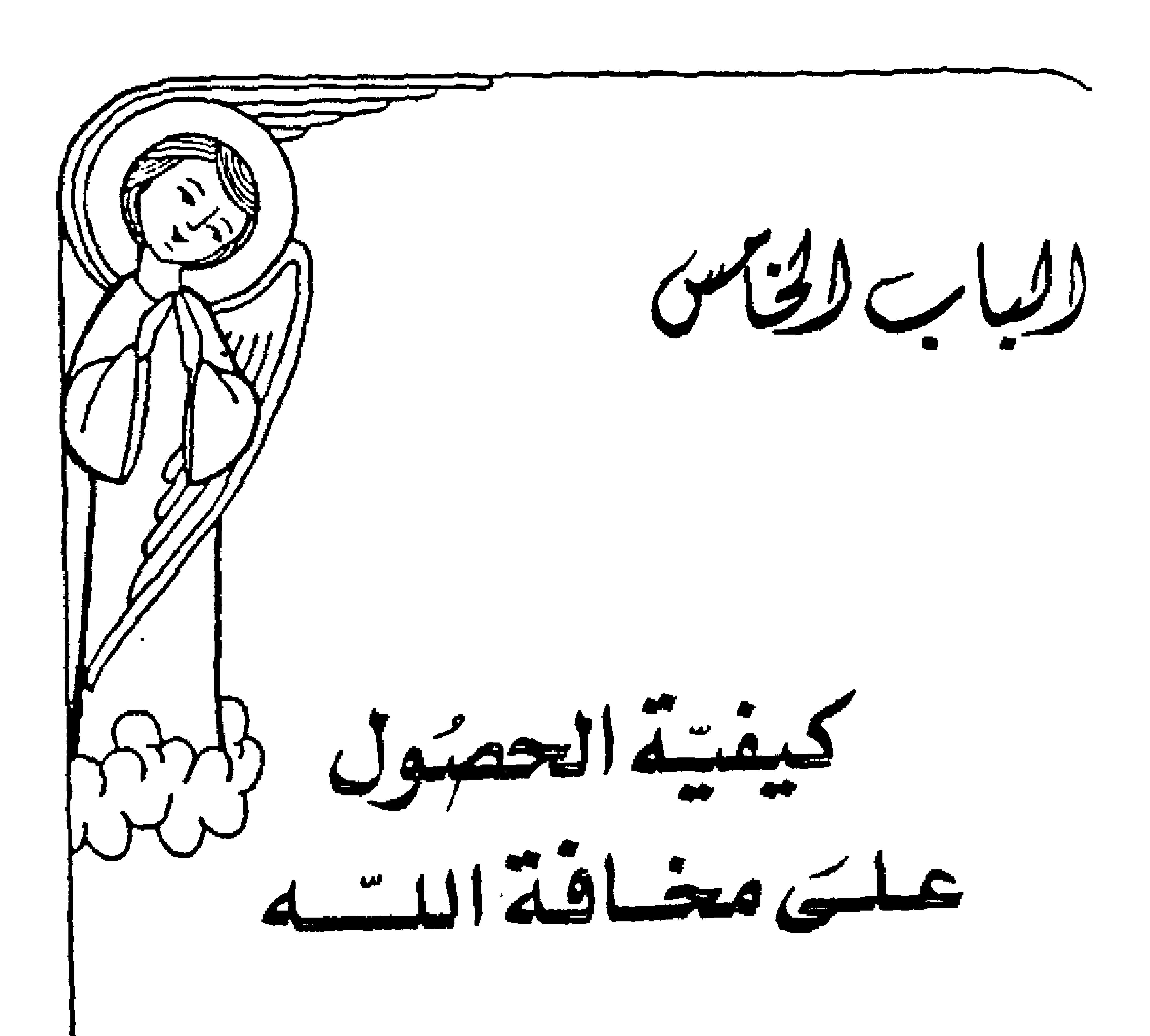
تلك المخافة التى دعتهم إلى التدقيق فى كل شئ ، وإلى الجدية فى الرعاية والخدمة ، وإلى الأمانة فى القليل وفى الكثير ، حتى

حفظوا لنا الإيمان نقياً ، وسلّموه لنا كما تسلموه (٢تى ٢: ٢) .

وأخيراً ، بعد كل المقدمات التى كتبناها لك أيها القارئ العزيز عن مخافة الله ، نود أن ننتقل إلى نقطة عملية وهى :

كيف يمكننا الوصول إلى مخافة الله ؟





الباب الخامس

كيفيّة الحصول على مخافة اللّه

١ يمكنك الحصول على مخافة الله بمعرفة بشاعة الخطية ونتائجها

لكى نصل إلى مخافة الله ، لابد أن نعرف ما هى حالة الخطية.
أو ما هى حالتنا أثناء أرتكابنا للخطية :

الخطية تفصلنا عن الله ، وعن الملائكة والقديسين ...

بل تفصلنا عن الحياة الروحية كلها ...

الإنسان البار هو إنسان ثابت فى الله، والله ثابت فيه. هو هيكل للروح القدس، وروح الله ساكن فيه (١كو٣: ١٦) . أما الإنسان الخاطئ ، فهو بارتكابه للخطية يحزن روح الله (أف٤: ٣٠). وينفصل عن الله ، وعن كل ما يتعلق به ، لأنه " أية شركة للنور مع الظلمة ؟!" (٢كو ٦: ١٤) . فالله نور ، والخطية ظلمة . والخاطئ هو شخص قد أحب الظلمة أكثر من النور ، لأن أعماله شريرة " (يو ٣: ١٩) .

ألا يخيفك إذن أن تكون منفصلاً عن الله ؟! وأن تحيا خارجاً منه ، فى الظلمة الخارجية ؟!

الإبن الضال انفصل عن أبيه، " فى كورة بعيدة " (لو١٥: ١٣).

وأبونا آدم حينما أخطأ ، انفصل عن عشرة الله، واختبأ وراء الأشجار (تك٣: ٨). فالخطية توجد حاجزاً وحجاباً بين الإنسان والله ويبقى عليه أن يختار إما الله ، وإما الخطية التى تفصله عن الله !

لذلك فالخطية تخيف الإنسان ، حينما يتذكر أنه من أجلها ، فضّل أن ينفصل عن الله ويختار الخطية ...

الخاطئ يعرف تماماً أنه بعيد عن الله . ولكنه بالتوبة يشعر أنه يقترب من الله ويتلامس معه . أما إذا دخل فى حياة القداسة ، فحينئذ يثبت فى الله ، والله فيه . وهكذا يقول الرب " أنا الكرمة وأنتم الأغصان .. الذى يثبت فىّ ، وأنا فيه ، هذا يأتى بثمر كثير" (يو ١٥: ١، ٥) . والذى لا يثبت ، يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ويحترق " (يو ١٥: ٦) .أليس هذا مخيفاً ؟!

لعله يخيف الخاطئ أيضاً ، أنه فى خصومة مع الله .

لذلك فإن القديس بولس الرسول يدعو الخطاة قائلاً "تصالحوا مع الله" (٢كو ٥: ٢٠) .

والأمر ليس مجرد خصومة ، بل هو أخطر من هذا بكثير. فالقديس يعقوب الرسول يقول إن محبة العالم عداوة لله (يع ٤: ٤). ويؤيد هذا القديس يوحنا الرسول فيقول " إن أحب أحد العالم ، فليس

فيه محبة الآب " (ايو ٢: ١٥) ... إذن فالخطية موقف يتخذه الخاطئ من الله : عدم محبة ، خصومة ، عداوة ...

بل الخطية هى حرمان من الله. هى حالة إنسان يطرده الله من حضرته .

نعم ، ما أبشع حالة أولئك الذين يقول لهم الرب " إنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم" (مت ٧: ٢٣) . من يحتمل عبارة " اذهبوا عنى" ... ولا يخاف ؟! إنه نفس موقف العذارى الجاهلات اللائى أغلق الرب بابه فى وجوههن ، وقال لهن " الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن " (مت ٢٥: ١٢) . وهو نفس موقف قايين الذى صرخ قائلاً لله " ذنبى أعظم من أن يُحتمل إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك اختفى .." (تك ٤: ١٣) .

ألا يخاف هذا الذى يطرده الله من حضرته ؟!

ويقول له " اذهب عنى يا فاعل الإثم . لا أعرفك " ولماذا ؟ لأنه إنسان يحب العالم أكثر من الله ، ولأنه يحزن روح الله الذى فيه . بل ايضاً يعاند ويقاوم الروح مثلما قال القديس اسطفانوس لليهود (أع ٧: ٥١) .

بل هو ينفصل عن الله ويخاصمه ويعاديه ...

إذا استيقظ ضمير هذا الإنسان ، ألا يخاف ويقول : من أنا

حتى أعادى الله وأقاومه ؟!

من أنا التراب والرماد ، حتى أحزن روح الله ، وأعصى الله وأتحداه ، وأخالف وصاياه وأثور عليه ؟! واقف ضد سلطانه وملكوته ... من أنا ؟!

لذلك يخاف ، لأنه ليس كفئواً لهذه العداوة وهذا التحدى . ولو عرض لغضب الله ، سيهلك ...

انه يخاف أيضا من نتائج الخطية .

الخطية التى تجلب له القلق والخوف وعذاب الضمير ، والتى تفقده سلامه الداخلى ...

ما أكثر الذين جربوا متاعب الخطية وآلامها . ومنهم داود النبى، الذى قال " فى كل ليلة أعوّم سريرى، وبدموعى أبل فراشى" (مز ٦) "اشفنى يارب ، فإن عظامى قد اضطربت ، ونفسى قد انزعجت جداً ".. هذا الذى قال " مزجت شرابى بالدموع" "انصت إلى دموعى " . وكما بكى داود ، بكى بطرس أيضاً .

قيل إنه خرج خارجاً ، وبكى بكاءً مراً (مت ٢٦: ٧٥) .

وكما تألم القديسون بسبب الخطية ، هكذا تألم الأشرار أيضاً .

ومثال لذلك يهوذا الخائن : الذى أتعبته نفسيته بسبب تسليمه لسيده ومعلمه ، فأرجع المال إلى رؤساء الكهنة قائلاً " أخطأت إذ

أسلمت دماً بريئاً " . ولما وجد أن الأمر قد خرج من يده " مضى وخنق نفسه " (مت ٢٧: ٥) . وهكذا مات هالكاً ...

وبيلاطس البنطى قيل عنه فى بعض القصص إنه عاد إلى منزله، وظل يغسل يديه وهو يقول " أنا برئ من دم هذا البار " (مت ٢٧: ٢٤) . وإذ يجدهما ما زالتا ملوثتين ، يعود فيغسلهما مكرراً نفس العبارة ...

وهناك أشخاص بسبب خطاياهم قاسوا قصاصات على الأرض، لكى تذكرهم بخطاياهم وتوصلهم إلى مخافة الله .

كإنسان يصاب بفشل فى حياته، أو تتوالى عليه ألوان من الفشل، فيقول " هذا بسبب خطاياى " .. أو يصاب بعد هذا هو ، أو أحد أفراد أسرته بمرض ، يتذكر خطاياه أيضاً ويقول هى السبب ... ثم يقع بعد هذا فى مشكلة أو فى عدة مشاكل متتابعة ، فلا يجد أمامه إلا عبارة " كل هذا بسبب خطاياى " . ويوصله ذلك إلى مخافة الله.

كل هذه نتائج أرضية للخطية ، غير العقوبة الأبدية .

إنها تذكرنا بلعنات الناموس التى وردت فى سفر التثنية ، حينما قال الله لمن يعصى وصاياه " يجعلك الرب منهزماً أمام اعدائك . فى طريق واحدة تخرج عليهم , وفى سبع طرق تهرب أمامهم .. ولا تنجح فى طرقك ، بل لا تكون إلا مظلوماً مغصوباً كل الأيام ،

ولا مخلص " (تث ٢٨: ٢٥، ٢٩) . ويكررها الرب مرة أخرى فيقول " ولا تكون إلا مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام " (تث٢٨: ٣٣) .

طوبى لمن يستفيد من هذه العقوبات ويصل إلى مخافة الله .

إذ يوصله كل هذا إلى الندم والتوبة ، ويعيش في المخافة التى تقوده إلى نقاوة القلب . أما الذى لا يبالى ، بل يستهتر ، فإنه يصل إلى قساوة القلب التى تهلكه تماماً ...

إن كل العقوبات التى ننالها على الأرض ، أو كل المشاكل والضيقات التى نتعرض لها إنما هى تحمل فى داخلها صوت الرب يقول لنا " ارجعوا إلىّ ، فأرجع إليكم " (ملا ٣: ٧) . أترانا نلبى صوته هذا؟! هوذا الرسول يقول لنا " إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم " (عب ٣: ١٥) . إن الرسول يقول أيضاً .

" **لا تستكبر بل خِف ... فهوذا لطف الله وصرامته** " (رو١١: ٢٠، ٢٢) .

" أما الصرامة فعلى الذين سقطوا . وأما اللطف فلك ، إن ثبتّ فى اللطف . وإلا فأنت أيضاً ستقطع " (رو ١١: ٢٢) .

لماذا إذن تعرض نفسك لصرامة الله ، ولحكم القطع ؟! أليس من الأفضل أن تحيا فى مخافة الله ، ولا تخطئ ؟..

إن كنت تختبئ وراء محبة الله ، فتذكّر قداسة الله وعدله .

تذكر أن الله قدوس ، وقداسته لا حدود لها ولا قياس . وإن كان البشر فى برهم المحدود يشمئزون من الخطية ، فكم بالأولى الله الذى قداسته لا تحد !! كم تكون الخطية إذن بشعة فى نظر الله ؟! هوذا يوسف الصديق - لما عرضت عليه الخطية - قال وهو يهرب منها : " كيف أخطئ ، وافعل هذا الشر العظيم أمام الله ؟!" (تك ٣٩: ٩) . ولم يعتبر أنها شر عادى ، وإنما هى شر عظيم ...

إنك تخجل أن تفعل الخطية أمام شخص بار . وتخجل أكثر وأكثر إن كان ملاك أمامك . فكم بالأولى أمام الله ؟!

عيبك إذن أنك لا تشعر بوجود الله أمامك ، حينما ترتكب الخطية . كاولئك الذين قال عنهم المزمور " لم يجعلوا الله أمامهم " (مز ٥٤: ٣) . لذلك لا تخاف الله . وترتكب الخطية ، والله ليس فى ذهنك ، وكأنه لا يراك !!

ليتك تخاف الله كما تخاف الناس ...

وليتك تخجل من الله ، كما تخجل من الناس ...

وكما تعمل حساباً لفكرة الناس عنك ، وحكم الناس عليك ، ليتك تعمل ألف حساب لحكم الله عليك .

الخطية التى تعملها فى الخفاء ، لا تستطيع مطلقاً أن تعملها أمام الناس ، لأنك تحب أن تكون لك سمعة طيبة أمامهم . أما الله الذى

يرى كل ما تفعله أمامه فـى الخفـاء ، فـلا تعمل لـه حسـاباً ، وتفقد مخافة الله !!

لمـاذا تدقق كثيراً فى تصرفـاتك أمـام النـاس ولا تدقـق فـى تصرفاتك أمام الله ؟!

لسبب واحد ، هـو أنـك تخـاف النـاس ولا تخـاف اللـه ... لأنـك شخصان : أحدهما أمام الناس فـى مظهريـة بـارة ، وأمـام اللـه فى حقيقتك الخاطئة . وهكذا ترى أن عدم مخافتك لله قد أوصلتـك إلـى الرياء ... وإلى تعدد الشخصية ، وإلى خداع النـاس بمظهـر زائـف هو غير حقيقتك!!

وبينما تعمل الخطية أمام الله بلا خوف ، نراك تخاف أن طفـلاً صغيراً يراك !

بل تخاف أن خادمك أو أحد مرؤوسيك يراك !

وتخاف في بعض المواقف أن تؤخذ لك صورة ، أو تسجل لـك كلمة ، إن كان فى شئ من هذا ما ينقص قدرك أمام الناس ، أو مـا يظهر عيباً فيك ... لذلك تحترس جداً فى وجـود النـاس احتراسـاً لا تهتم به مطلقاً ، حينما تشعر أنه لا توجد عين تراك .

وهذا دليـل علـى عدم مخافـة اللـه ، لأن عين اللـه تـراك فـى الوقت الذى لا يراك فيه الناس ...

لذلك من التداريب الهامة التى يجب عليك أن تتدرب عليها لتصل إلى مخافة الله :

أنك لا تعمل فى الخفاء ، ما تخجل أن تعمله أمام الناس . ولا تفكر فى ذهنك فكراً لا تقدر أن تعلنه للناس . وقل لنفسك : ينبغى أن أخجل من الله الذى يرانى ، والذى يفحص أفكار عقلى ، ونيات نفسى ، وشهوات قلبى . وقل لنفسك أيضاً :

لا يصح أن أكون كالقبور المبيضة من الخارج ، وفى الداخل عظام نتنة !!

لأن الرب بهذا الوصف قد وبخ اولئك الكتبة والفريسيين المرائين (مت ٢٣: ٢٧) .

حاول إذن أن تكون فى داخل نفسك حريصاً على عمل البر ، على الأقل كما تحرص أمام الناس . والفكر الذى يخجلك أن يعرفه الناس ، لا تفكر فيه . وكذلك بالنسبة إلى العمل والمشاعر .

واقصد بالناس هنا الأبرار منهم الذين يراعون القيم .

ولذلك أدعوك إلى معاشرة الأبرار من الناس ، حتى تتعلم مخافة الله منهم ...

وأيضاً حتى يتحول حرصك فى وجودهم إلى عادة عندك ، تمارسها حتى وأنت وحدك فى عدم وجودهم معك ...

وفى نفس الوقت ابتعد عن عشرة المستهترين الذين لا توجد مخافة الله فى قلوبهم ، لئلا تقلدهم دون أن تشعر .. أو قد يستهزئون بتدقيقك وحرصك ، فتظن أنه مبالغة ومغالاة ، وتزول بشاعة الخطية من تفكيرك ، وتصل مثلهم إلى اللامبالاة وتفقد مخافة الله .



٢ لكى نصل إلى مخافة الله علينا أن نتذكر عقوبته ودينونته الرهيبة

الخوف من العقوبة طبيعة في الإنسان . ولولا هذا الخوف ، لا نتشر الشر فى كل مكان . إنه نوع من الردع ، يمنع وقوع الشر.

بدأ الخوف من العقوبة ، منذ أيام أبينا آدم :

لقد خاف حينما أخطأ ، واختبأ هو وحواء خلف الشجر . واستمر الخوف في نسلهما .. حتى فى الأنبياء والقديسين . واستمر الله فى فرض عقوباته على المخطئين ليقودهم إلى المخافة والتوبة.

وقد سجل لنا الكتاب المقدس عقوبات كثيرة :

ولست أقصد فقط العقوبات التى وردت فى العهد القديم ، ولا لعنات الناموس التى كانت تقال على جبل عيبال (تث ٢٧: ١٣) ، ولا حتى الضربات والعقوبات التى وردت فى سفر الرؤيا (رؤ ٨) فى العهد الجديد ، عهد النعمة والحق . ولا العقوبات التى صدرت من فم السيد المسيح له المجد ، ومن أفواه تلاميذه القديسين ، إنما أقول :

حتى الوصية الإلهية الأولى ، كانت مصحوبة بعقوبة .

نعنى وصية الله لأبوينا الأولين فى الجنة . كانت مصحوبة بعقوبة شديدة فى حالة المخالفة : "موتاً تموتا" (تك ٢: ١٧) ... بينما كانت الوصية موجهة إلى نوعية ممتازة جداً ، هى آدم وحواء فى حالتهما السامية الأولى ، التى كانت فائقة جداً لحالة الطبيعة البشرية الحالية . إذ كانا فى منتهى البراءة والبساطة لا يعرفان شراً، حيث كانا عريانين ولا يخجلان .

وقد نفذ الله عقوبته على هذا الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله .

الله المحب ، الذى كان يتكلم فى محبة مع آدم الطاهر البرئ ، هو نفسه الذى خافه آدم بعد الخطية ، وهو الذى عاقب آدم وحواء، وطردهما من الجنة، وفرض عليهما التعب والوجع. والحية التى كانت خاضعة للإنسان ، أعطاها سلطاناً أن تسحق عقبه (تك٣: ١٥- ١٩) .

وقال الله للإنسان - وهو يعاقبه - " لأنك تراب ، وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٩) .

ولعل فكراً دار فى عقل أبينا آدم : " هل أنا يارب تراب؟! ألست صورتك ومثالك؟!" . وكأن الله يرد عليه قائلاً : لست ا ن

صورتى ولست مثالى . لقد كنت صورتى ، حينما كنت نقيا بسيطا. ولكنك لما أخطأت فقدت هذه الصورة ، واصبحت تراباً ، مجرد تراب كما كنت . وإلى التراب تعود ...

إن العقوبة لازمة للإنسان . شرّعها الله لفائدته .

حتى الخطايا التى تبدو بسيطة ، وضع الله لها عقوبات .

حتى كلمة (رقا) ، أبسط كلمة تبدو فيها علامة من عدم التوقير (مت٥: ٢٢) . بل كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس ، يعطون عنها حساباً فى يوم الدين (مت ١٢: ٣٦) . وما أخطر قول القديس باسيليوس الكبير:

ماذا استفيد إن فعلت كل البر ، ثم قلت لأخى يا أحمق . وصرت بهذا مستحقاً نار جهنم حسب المكتوب (متى ٥: ٢٢) ؟!

إن مجرد كلمة واحدة يخطئ بها الإنسان ، تسبب له دينونة . لأن الإنجيل يقول " وبكلامك تدان " (مت ١٢: ٣٧) . وكلمة شتيمة يمكن بسببها أن يفقد الإنسان الملكوت ، لأن الكتاب يقول " لا شتامون يرثون ملكوت الله" (١كو٦: ١٠). ووضع هؤلاء الذين يشتمون فى قائمة واحدة مع الزناة وعبدة الأوثان والفاسقين (١كو٦: ٩) وكلمة قسم (حلفان) يمكن أن تقعوا بها تحت الدينونة (يع ٥: ١٢) .

إذن فلتكن مخافة الله فى قلوبنا . لأن خطية واحدة يمكن أن تكون سبباً فى هلاك الإنسان . والكتاب يقول :

" **لأن من حفظ كل الناموس ، وعثر فى واحدة ، فقد صار مجرماً فى الكل " (يع ٢: ١٠) .**

إذن يجب أن نخاف من دينونة الله لنا . ومن يوم الدينونة الرهيب ، الذى يسميه الرسول أحياناً يوم الغضب ، فيقول " ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب ، تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة ، الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله " (رو٢: ٥، ٦) . ويقول أيضاً عن الذين يطاوعون الإثم " سخط وغضب ، شدة وضيق ، على كل نفس إنسان يفعل الشر..." (رو ٢: ٨، ٩) .

وقد تحدث السيد المسيح نفسه عن الخوف من الدينونة .

فقال " لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلونه أكثر. بل أريكم ممن تخافون : خافوا من الذين بعد ما يقتل له سلطان أن يلقى فى جهنم. نعم أقول لكم: من هذا خافوا" (لو١٢: ٤، ٥) .

وهكذا كرر نصيحة الخوف ثلاث مرات فى عبارة واحدة .

وعلمنا أن نخاف من الدينونة ، ومن جهنم ، وأن نخاف الله

الذى له سلطان هذه العقوبة .

وخوف الدينونة وفقد الخلاص ، يتحدث عنه القديس بولس فيقول " فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته ، يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه" (عب ٤: ١) .

إنه يخاف أن نفقد الدخول إلى الراحة الأبدية ، مع وعد الله لنا بها . وهو هنا يكلم أخوة مؤمنين لهم المواعيد ، يخاطبهم فى رسالته بقوله " أيها الأخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية " (عب٣: ١) . إنهم قديسون حقاً . ولكن من الممكن أن يخطئوا . ولذلك فهناك خوف عليهم ...!

ومع أن الرسول يقول لهؤلاء الأخوة القديسين " فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع .." الثقة من جهة كمال الكفارة الى قدمها الرب عنا.. ولكن ماذا من جهتنا نحن ؟! يتابع الرسول حديثه فيقول :

" فإن أخطأنا باختيارنا ، بعدما أخذنا معرفة الحق ، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف , وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين " (عب ١٠: ٢٦، ٢٧) .

وإذ يذكر خوف الدينونة ، يشرح خطورة السبب (الخطية) ، فيقول: من خالف ناموس موسى ، فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود

يموت بغير رأفة . فكم عقاباً أشر ، تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله ، وحسب دم العهد الذى قدّس به دنساً ، وازدرى بروح النعمة " (عب ١٠: ٢٨، ٢٩) .

حقاً إنه كلام خطير ، يجعل الذى لا يخاف الله ، يفيق من غفلته... ويكمل الرسول حديثه قائلاً :

مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى (عب ١٠: ٣١) .

والوقوع المخيف فى يدى الله ، هو فى يوم الدينونة . يقول القديس يوحنا فى سفر الرؤيا " ثم رأيت ملاكاً آخر طائراً فى وسط السماء ، معه بشارة أبدية ليبشر الساكنين على الأرض وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب ، قائلاً بصوت عظيم " خافوا الله وأعطوه مجداً " (رؤ ١٤: ٧) .. لماذا هذا الخوف ؟ أو ما مناسبته ؟

يقول الملاك " لأنه قد جاءت ساعة الدينونة " ...

رهيبة هى ساعة الدينونة ... كل حياتنا نعدها لذلك اليوم وتلك الساعة ...

أنظروا ماذا يقول الكتاب عن ذلك اليوم :

يقول عنه سفر ملاخى النبى " يوم الرب العظيم المخوف " (ملا٤: ٥) . ونقول عنه فى القداس الإلهى " وظهوره الثانى ا تى من السموات المخوف والمملوء مجداً " . هذا المجئ الذى يقول عنه

الكتاب " يرسل ابن الإنسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم ، ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان " (مت ١٣: ٤١، ٤٢) .

ويقول سفر يوئيل النبى " لأن يوم الرب عظيم ومخوف جداً ، من يطيقه؟!" (يوئيل٢: ١١) . ويقول أيضاً " تتحول الشمس إلى ظلمة ، والقمر إلى دم ، قبل مجئ يوم الرب العظيم المخوف . ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص" (يوئيل ٢: ٣١) . وقد تكرر هذا الوصف فى كلام القديس بطرس الرسول فى يوم الخمسين (أع٢: ٢٠، ٢١) .

ويقول القديس بطرس أيضاً فى رسالته الثانية : " ولكنه يأتى كلص فى الليل يوم الرب ، الذى فيه تزول السموات بضجيج ، وتنحل العناصر محترقة ، وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها... تنحلّ السموات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب" (٢بط ٣: ١٠، ١٢) .

أما عن مشاعر الناس فى ذلك اليوم الرهيب :

فيقول سفر إشعياء النبى " هوذا يوم الرب قادم ، قاسياً بسخط وحمو غضب .. لذلك ترتخى الأيادى ، ويذوب كل قلب إنسان " (أش ١٣: ٩) ... ويشبه هذا ما ورد فى (صف ١: ١٤- ١٦) .

ويقول هوشع النبى عن خوف الناس وقتذاك :

"ويقولون للجبال غطينا ، وللتلال اسقطى علينا " (هو١٠: ٨).

ويتكرر هذا الكلام أيضاً فى سفر الرؤيا عند فتح الختم السادس " وإذا زلزلة عظيمة حدثت ، والشمس صارت سوداء كمسح من شعر ، والقمر صار كالدم ، ونجوم السماء سقطت على الأرض ، كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزتها ريح عظيمة ... وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء ، وكل عبد وكل حر ، أخفوا أنفسهم فى المغاير وفى صخور الجبال ، وهم يقولون للجبال وللصخور أسقطى علينا واخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف . لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ، ومن يستطيع الوقوف ؟!" (رؤ ٦: ١٢- ١٧) .

لأجل كل هذا ، ينصحنا الرب ويقول :

"اسهروا إذن لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم " (مت٢٤: ٤٢) .

ويقول عن حالة ذلك العبد الردئ غير المستعد " يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره ، وفى ساعة لا يعرفها ، فيشقه من وسطه، ويجعل نصيبه مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان " (مت ٢٤: ٥٠،٥١) (لو ١٢: ٤٦) . ولهذا يقول " فكونوا أنتم إذن

مستعدين، لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان" (لو ١٢: ٤٠)

اسهروا إذن على خلاص أنفسكم " وسيروا زمان غربتكم بخوف" (١بط ١: ١٧) " لتكن أحقاؤكم ممنطقة ، وسرجكم موقدة" (لو ١٢: ٣٥) ، واضعين أمامكم هذا الإنذار :

" **لئلا يأتى بغتةً ، فيجدكم نياماً** " (مر ١٣: ٣٦) .

وعن سهركم واستعدادكم لهذا اليوم ، لقد وضعت لكم كتاباً اسمه (السهر الروحى) يمكن أن تضيفوه إلى موضوعنا هذا. ومن مخافة هذا اليوم ، استعدوا له بالتوبة . وكما يقول الرسول " لا تشاكلوا أهل هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم " (رو١٢: ٢) . وتذكروا حالة غنى لعازر ، الذى كان يشتهى مجرد قطرة ماء يبرّد بها لسانه، لأنه معذب فى ذلك اللهيب (لو١٦: ٢٤).

ولكن لعل البعض يقول " ما شأننا بذلك اليوم ، وهو بعيد ؟!" أقول لك: حتى إن كان اليوم الأخير بعيداً، فإن يومك أنت بالذات لا تدرى موعده.. فينبغى أن تكلم خلاصك بخوف ورعدة (فى٢: ١٢)

وخير لك أن تخاف ا ن خوفاً فيه رجاء ، إذ يدفعك إلى التوبة، من أن تخاف فى ذلك اليوم بلا أمل .

وهذا هو تعليم الكنيسة الذى تعلمه لنا فى كل يوم .

٣ مخافة الله فى صلوات الأجبية وفى المزامير وطقوس الكنيسة

إن الكنيسة المقدسة تعلمنا مخافة الله وتدربنا عليها فى صلوات الساعات (فى الأجبية) .

وبخاصة فى صلوات النوم والستار ونصف الليل .

ففى صلاة الستار "يارب أن دينونتك المرهوبة. إذ تحشر الناس، وتقف الملائكة ، وتفتح الأسفار ، وتنكشف الأعمال، وتفحص الأفكار . أية إدانة تكون إدانتى ، أنا المضبوط فى الخطايا ؟!" .

هذا الخوف من الدينونة والإنكشاف أمام الكل ...

تصوروا حينما يجمع الله العالم كله والملائكة ، ويمر عليهم – كما من جهاز سينما – شريط يحوى كل أعمال الناس وأفكارهم : من خطايا ونجاسات بشعة ، ودنس كل نفس ..! ويعلن لهم أسرار الناس ، وأفكارهم ومشاعرهم ونياتهم . وينكشف أيضاً ما كان فيهم من رياء وخداع .. ويظهرون على حقيقتهم ، أىّ خجل يكون فى ذلك اليوم ، وأى رعب ، حينما تصبح كل خفايانا معروفة للكل؟!

لأنه كما يقول الـرب " ليس مكتـوب إلا ويعلـن" (مـر ٤: ٢٢) "ولا خفى إلا ويظهر" (لو ٨: ١٧) .

إذن إن اردت ألا تنكشف فى ذلك اليوم وتخجل ، تب . فالتوبة تمحو الخطايا فلا تظهر (أع ٣: ١٩) .

أيضاً الكنيسة تعلمنا فى صلاة النوم أن نقول :

" هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب ومرتعب من كثرة ذنوبى ، لأن العمر المنقضى فى الملاهى يستوجب الدينونـة . لكن توبى يا نفسى ما دمتِ فىالأرض ساكنة .. انهضـى مـن رقـاد الكسل ، وتضرعـى إلـى المخلـص بالتوبـة ، قائلـة اللهــم ارحمنــى وخلصنى" .

ليعود المصلى ، ليقول فى صلاة النوم أيضاً :

" لو كان العمر ثابتاً ، وهـذا العـالم مؤبـداً ، لكـان لـك يـا نفســى حجة واضحة . لكن إذا انكشفت أفعـالك الرديئـة وشـروك القبيحـة أمام الديان العادل، فأى جواب تجيبين ، وأنت علـى سـرير الخطايـا منطرحة ، وفى إخضاع الجسد متهاونة ؟!" .

وهكذا يوبخ المصلى نفسه كل ليلة ، متذكراً الموت والدينونة، والإنكشاف ، والديان العادل ...

وهذه المخافة تدعوه إلى التوبة وإلى طلب الرحمة ، وإلى تـرك

الكسل والتهاون . وإلا فإنه سيقابل يوم الدينونة فى رعب وارتعاد .

وفى صلاة نصف الليل ، تضع الكنيسة أمامنا فصلا من الإنجيل عن مثل العذارى اللائى كن ينتظرن مجئ الرب ، وكيف دخلت الحكيمات معه ، بينما وقفت الجاهلات خارجا ، وقال لهن الرب: الحق أقول لكن إنى لا أعرفكن (مت ٢٥: ١٢). ما أرهبها عبارة!!

وهكذا تذكرنا الكنيسة بيوم المجئ الثانى ورهبته .

بفصل آخر من إنجيل معلمنا القديس لوقا ، يقول فيه الرب "فكونوا أنتم مستعدين ، فإنه فى ساعة لا تعرفونها يأتى إبن الإنسان" (لو١٢: ٤٠) (مت ٢٥: ١٣) .

وتعلمنا الكنيسة أن نصلى بعد ذلك ونقول :

" بما أن الديان حاضر ، اهتمى يا نفسى وتيقظى . وتفهمى تلك الساعة المخوفة . فإنه ليس رحمة فى الدينونة لمن لم يستعمل الرحمة ..." .

وتعلمنا الكنيسة أيضا أن نقول ، ونحن نتذكر مثل العذارى "تفهمى يا نفسى ذلك اليوم الرهيب واستيقظى .. لأنك لا تعلمين متى يأتى نحوك الصوت القائل ها هوذا العريس قد أقبل " . وانظرى يا نفسى لا تنعسى، لئلا تقفى خارجا قارعة مثل الخمس العذارى الجاهلات ..." .

" انظری یا نفسی لئلا تثقلی بالنوم ، فتلقی خارج الملكوت ، بل اسهری ".

ومن أجل مخافة الموت والدينونة ، تدعونا الكنيسة إلى دوام السهر والاستعداد ، وتقدم لنا فی صلاة نصف الليل قول الرب فی الإنجيل " لتكن أحقاؤكم ممنطقة ، ومصابيحكم موقدة ، وأنتم أيضا تشبهون أناسا ينتظرون سيدهم متى يرجع .. طوبى لأولئك العبيد ، الذين إذا جاء سيدهم ، يجدهم ساهرين ..." (لو ١٢: ٣٥- ٣٧) .

كذلك بسبب خوف الدينونة ، تدعونا الكنيسة إلى التوبة .

وتقدم لنا فی صلاة نصف الليل أيضا فصل الإنجيل الخاص بتوبة تلك الخاطئة التی بللت قدمی السيد المسيح بدموعها ، ومسحتهما بشعر رأسها (لو ٧: ٣٨) . وتعلمنا أن نقول بعد قراءة هذا الفصل: " اعطنی يارب ينابيع دموع كثيرة ، كما أعطيت فی القديم للمرأة الخاطئة ..." .

إنها لا تعلمنا فقط المخافة والتوبة ، بل الدموع أيضا .

وتعلمنا أيضا أن نقول فی هذا الجزء من صلاة نصف الليل "إذا ما تفطنت فی كثرة أعمالی الرديئة، ويأتی على قلبی فكر تلك الدينونة الرهيبة ، تأخذنی رعدة ، فأهرب إليك يا الله محب البشر. فلا تصرف وجهك عنی ، متضرعا إليك يا من أنت وحدك بلا

خطيـة : أنعم لنفسـى المسكينة بتخشـع ، قبل أن يـأتى الإنقضــاء ، وخلصنى" .

وبسبب تلك المخافة ، تعلمنا الكنيسة أن نطلب الرحمة :

فنصرخ ونقول " بعين متحننة يـارب أنظر إلـى ضعفـى . فعمـا قليل تفنى حياتى، وبأعمالى ليس لـى خـلاص . فلهذا اسـأل: بعين رحيمـة يـا رب، انظـر إلـى ضـعفـى ، وذلـــى ومسـكنتى وغربتــى، ونجنى" .. " لهذا اشفق على أيها المخلص ، لأنـك أنـت هـو محـب البشر وحدك "...

وعن المجئ الثـانى للرب ليديـن العـالم ، تعلمنـا الكنيسـة أن نقول فى مخافة الله :

" فى وقت مجيئك لتدين العـالم ، فلنستحق سماع ذلك الصـوت المملوء فرحا ، القائل تعالوا إلى يا مباركى أبى، رثـوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم . نعم يارب ، سـهل لنـا أن نكـون فـى تلـك الساعة بغـير خـوف ولا اضطـراب، ولا سقوط فـى الدينونـة . ولا تجازينا بسبب كثرة آثامنا . لأنك أنت المتحنن الطويل الأنـاة الكثـير الرحمة ...".

وفى مخافة الله تعلمنا الكنيسة أن نقول فى صلاة الغروب :

إذا كان الصديق بالجهد يخلص ، فأين أظهر أنا الخاطئ؟!

وهى صلاة مأخوذة من الرسالة الأولى لمعلمنا القديس بطرس الرسول حيث يقول، "إن كان البار بالجهد يخلص، فالفاجر والخاطئ أين يظهران؟!" (١بط ٤: ١٨) .

هذه العبارة بالذات ، ألا تعلمنا المخافة، التى نبذل فيها كل جهدنا، حتى نحسب مع الأبرار..؟!

وبسبب المخافة ، تعلمنا الكنيسة أن نقول "يارب أرحم" ٤١ مرةً فى كل صلاة من صلواتنا اليومية.

بل نكرر عبارة "يارب ارحم" بهذا العدد فى كل صلاة من الصلوات الليتورجية، وفى عشية وباكر، وفى كل قداس. طالبين الرحمة باستمرار. وطلب الرحمة هو دليل على المخافة.

أم ترانا نطلب الرحمة ، بغير مخافة ؟!

كلا ، بل إننا نقول فى صلاة نصف الليل :

سمر خوفك فى لحمى (مز ١١٩: ١٢٠) .

الكنيسة إذن تعلمنا مخافة الله ، وتدربنا عليها فى الصلاة. بل تجعلنا نبدأ كل صلواتنا اليومية والطقسية بصلاة الشكر التى نقول فى ختامها :

" امنحنا أن نكمل هذا اليوم، وكل أيام حياتنا، بكل سلام مع مخافتك". إذن هذه المخافة، نطلبها كل يوم.

وحينما ندخل إلى الكنيسة ، نتعلم أن نسجد أمـام الهيكل، ونحن نقول للرب: "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك، وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك" . وهى عبارة مأخوذة من المزمور الخامس. ويكررها الأب الكاهن فى تبخيره أمام الهيكل .

وغالبية طقوس الكنيسة وصلواتها تشتمل على عبارة الخوف أو المخافة .

ففى رفع بخور عشية ، يبدأ الأب الكاهن صلاته السرية بقوله "أيها المسيح إلهنا العظيم المخوف الحقيقى".

وفى صلاة التحليل يقول "طهرنا ، حاللنا، وحالل كل شعبك. إملأنا من خوفك، وقومنا إلى إرادتك المقدسة" ..

وقبل قراءة الإنجيل، يصرخ الشماس ويقول: " قفوا بخوف من الله، وانصتوا لسماع الإنجيل المقدس" ويقف الشعب كله فى الكنيسة، ويخلع رئيس الكهنة تاجه من فوق رأسه، هيبة وتوقيرا لكلمات الإنجيل. كما خلع الأربعة والعشرون قسيسا أكاليلهم وسجدوا أمام العرش قائلين: مستحق أنت أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة.." (رؤ ٤: ١٠، ١١) .

حقا ، ينبغى أن نسمع كلمة الله فى خوف . لماذا ؟

لأننا نعرف تماما أننا لم نطع كلام الله . فكل كلمة من الإنجيل

سوف تحكم علينا . سندان بها . كما قال الرب " من رذلني ولم يقبل كلامي، فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به، هو يدينه في اليوم الأخير" (يو١٢: ٤٨) . إذن إعطنا يارب أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة، لئلا تديننا في اليوم الأخير.

كما نسمع كلمة الخوف في قراءة الإنجيل أثناء القداس الإلهي، كذلك في وقت حلول الروح القدس، يصيح الشماس :

اسجدوا لله بخوف ورعدة .

إنه الخوف الذي يليق بالحلول الإلهي . كما قيل عن موسى النبي وقت إعطاء الرب للوصايا على الجبل، إن موسى قال: أنا مرتعب ومرتعد (عب١٢: ٢١). كذلك قال القديس يوحنا الرسول لما ظهر له الرب في سفر الرؤيا "فلما رأيته، سقطت عند رجليه كميت. فوضع يده اليمنى على قائلا لي لا تخف" (رؤ١: ١٧) .

والخوف يتعلق أيضا بالذبيحة المقدسة، لكيما نقدمها ونتناول منها، بغير وقوع في دينونة ...

وعبارة (بغير وقوع في دينونة) يكررها الكاهن كثيرا أثناء القداس الإلهي ..

ففي صلاة الإستعداد قبل تقديم الحمل يقول في صلاته السرية "اجعلنا مستوجبين بقوة روحك القدوس أن نكمل هذه الخدمة. لكي

بغير وقوع فى دينونة أمام مجدك العظيم، نقدم لك صعيدة البركة" .

وفى صلاة الحجاب بعد قراءة الإنجيل، يقول: "تسألك يا سيدنا، لا تردنا إلى خلف، إذ نضع أيدينا علـى هذه الذبيحة المخوفة غير الدموية... نسأل ونتضرع إلى صلاحك يا محب البشر، أن لا يكون لنا دينونة، ولا لشعبك أجمع، هذا السر الذى دبرته لخلاصنا" .

يذكر هنا فى مخافة دينونة التناول بغير إستحقاق، التى ذكرها القديس بولس الرسول (١كو ١١: ٢٧- ٣٠) .

وهكذا يقول أيضا فى صلاة الصلح "أجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نقبل بعضنا بعضا بقبلة مقدسة. لكى ننال بغير انطراح فى دينونة من موهبتك غير المائتة السمائية ".

وعندما يتذكر الكاهن المجئ الثانى للسيد الرب يقول "وظهوره الثانى الآتى من السموات، المخوف المملوء مجدا " .

أما عن المخافة من الموت ، فى صلاة الأجبية :

فيكفى هنا تشفعنا بالقديسة العذراء قائلين فى صلاة الغروب "وعند مفارقة نفسى من جسدى، احضرى عندى، ولمؤامرة الأعداء اهزمى، ولأبواب الجحيم اغلقى، لئلا يبتلعوا نفسى" ...

ما أجمل قول القديس البابا ثاوفيلس عن خوف الموت "طوباك يا أرسانى، لأنك بكيت فى حياتك كثيرا من أجل خوف تلك الساعة".

تحصل على مخافة الله بالدقة فى محاسبة النفس وبتذكرك قول الرب أنا عارف أعمالك (رؤ ٢:٢) وتصل إلى المخافة أيضاً بالتوبة والاتضاع

٤

الإنسان الذى لا يشعر بفداحة خطاياه، تزول مخافة الله من قلبه. أما المدقق فى محاسبة نفسه، فإنه إذ يشعر بكثرة خطاياه وثقلها، فإن مخافة الله تكون على الدوام راسخة فى قلبه...

إننا نصل إلى مخافة الله، إذا كنا نحاسب أنفسنا على كل عمل، وكل قول، وكل فكر، وكل حسّ، بكل تدقيق. بحيث لا نجامل أنفسنا، ولا نلتمس الأعذار لأخطائنا ...

إن المخافة تجلب التدقيق . والتدقيق يجلب المخافة . وكل منها يقوى ا خر ...

والعجيب فى معاملاتنا للغير، أننا نحاسب غيرنا بكل دقة فى أخطائه من نحونا. ولكننا لا نحاسب أنفسنا بنفس الدقة التى نحاسب

بها غيرنا!! بل قد لا نحاسبها على الإطلاق !

لذلك إن أردت أن تكتسب مخافة الله التى هى بدء الطريق الروحى، لأن "بدء الحكمة مخافة الله" (أم ٩: ١٠) .. اجلس إلى نفسك كل يوم، وإسأل ذاتك: ماذا فعلت؟ وماذا قلت؟ وفى أى شئ فكرت؟ فهكذا كان القديس أرسانيوس الكبير يسأل نفسه في كل يوم.

ولا تسأل نفسك فقط عن السلبيات التى سقطت فيها ، وإنما أيضاً عن الإيجابيات التى قصرت فيها .

وهكذا تدخل مخافة الله فى قلبك، إذ تجد أنك فى الموازين إلى فوق (مز ٦٢: ٩) .

إن الإنسان الروحى يحاسب نفسه حتى على توقف النمو. لأنه يعرف تماماً أنه مطالب بحياة القداسة فى قول الرب "كونوا قديسين، كما أنى أنا قدوس" (لا ٢٠: ٢٦) . وهو أيضاً مطالب بحياة الكمال، حسب قول الرب فى العظة على الجبل "كونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت٥: ٤٨) . وإذ يجد بينه وبين القداسة والكمال مسافات، يبكت نفسه وتدخله مخافة الله ...

الإنسان المبتدئ يخاف أن يخطئ. أما البار فإن مخافة الله تلاحقه، لأنه لم يكمل بعد كل المطلوب منه فى حياة البر. ويتذكر قول الكتاب:

من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل، فتلك خطية له (يع٤: ١٧)

وهكذا يبكت نفسه، ليس على خطية قد فعلها، وإنما أيضاً على بر لم يفعله.. وهكذا يسأل نفسه باستمرار: هل بإمكانه أن يفعل أكثر من هذا أم لا؟ هل بإمكانه أن يجاهد أكثر، لكي يمتد إلى قدام، كما كان القديس بولس يفعل (فى ٣: ١٣).

الذى فيه مخافة الله،لا يخاف فقط من إرتكاب الخطية،ولا يقف عند حد الوصية،إنما يجاهد لكى ينمو فى محبة الله، بغير حدود..

ولا يكون دقيقاً فقط فى محاسبته لنفسه، إنما هذه المحاسبة تجعله دقيقاً أيضاً فى إعترافاته ..

فما أسهل أن يفقد الإنسان مخافة الله، إذا كانت إعترافاته ناقصة، أو كان يبرر نفسه فى إعترافاته، أو يلقى اللوم على غيره فى أخطائه هو.

أو إن كان يظن فى وقت الإعتراف أنه يقف فقط أمام الأب الكاهن، وليس أمام الله..!! فالواقع إنه يعترف على الله فى سمع الكاهن. ويأخذ الحلّ من الروح القدس من فم الكاهن...

أقول هذا لأن كثيرين يخجلون من أب الإعتراف ولا يخجلون من الله، الذى يقول له كل منا فى المزمور "إليك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت" (مز ٥٠).

إن تبرير الإنسان لنفسه فى وقت الإعتراف، وفى أى وقت ،

دليل على عدم وجود مخافة الله في القلب .

فلا تحاول إذن أن تبرر ذاتك، أو أن تبسّط الأمور، أو أن تسمّى الخطية باسم آخر يخفف من بشاعتها، أو أن تستتر وراء الظروف والملابسات وتذكر قول أب جبل نتريا للقديس ثاوفيلس:

"لا يوجد أفضل من أن يرجع الإنسان باللوم على نفسه، فى كل شئ" .. بهذا نصل إلى مخافة الله .

ولكى تصل إلى المخافة، ضع أمامك باستمرار قول الرب فى سفر الرؤيا "أنا عارف أعمالك" ...

إنها عبارة تكررت سبع مرات ، قالها الرب لكل ملاك من ملائكة الكنائس السبع "أنا عارف أعمالك" (رؤ ٢، ٣) . فياليت كل إنسان منا يضع أمامه على الدوام هذه العبارة . ويثق تماماً أنه سيقف أمام الله الذى سيقول له "أنا عارف أعمالك" ليس فقط فى يوم الدينونة. إنما يقول له هذه العبارة ا ن وكل أوان. بهذا تدخل المخافة إلى القلب..

فكل الخطايا التى أخفيناها على الناس، حتى لا تنحدر كرامتنا أمامهم، الله يعرفها جميعاً. وهى واضحة أمامه لا تخفى. لذلك علينا أن نتذكر قول القديس آبامقار الكبير، لخاطئ ستره هذا القديس، وقال له :

احكم يا أخى على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك ..

حاسب إذن نفسك ، واحكم على نفسك ، فليس خفى إلا ويظهر، ولا مكتوم إلا ويستعلن. وما دام الله يقول لك " أنا عارف أعمالك" إذن اعترف بها أمامه، واطلب منه القوة على التوبة ...

إن الذى يخاف الله، يخاف من كل فكر خاطئ، ومن كل شعور دنس، ومن كل نية بطالة .. من كل هذه الأمور التى لا يلاحظها الناس. ولكن الله يراها ويعرفها .

والذى يخاف الله، يخاف أيضاً من انكشافه وخجله أمام الملائكة الأطهار، وأمام أرواح القديسين .

يخشى من الملاك الحارس . ويخجل حتى من صور القديسين المعلقة فى حجرته. وكأن كل واحد من تلك الأرواح يردد أيضاً عبارة الرب "أنا عارف أعمالك" ... ويقول هذا الخاطئ فى نفسه : قطعاً كل هؤلاء يروننى، وأنا أعمل ما أعمله !!

وطبعاً كل هذا سينكشف . فهناك أجهزة تسجيل مسجل عليها كل شئ، بالصوت والصورة ، حتى الأفكار !! وكأن الله يقول: هات يا ميخائيل ملف فلان، افتحه واقرأ أمام جميع الناس ... والذى لم نحاسب أنفسنا عليه، سنحاسب عليه أمام الكل ...

كأن آلة تصوير تلتقط كل منظر خاطئ .. وكأن آلة تسجيل

تسجل كل صوت . تسجل كل ما فى داخلنا، وكل ما فـى الخـارج ، حتى نواياناً!! ويقـول الـرب لكـل منـا "أنـا عـارف أعمـالك " ... ألا يقودنا كل هذا إلى مخافة الله ؟!

نستطيع أيضاً أن نصل إلى مخافة الله عن طريق تواضع القلب .

إن الإنسان الواثق ببره، الشـاعر بقوتـه، ربمـا يظـن أن السـقوط بعيد عنه، وأن الخطية لا تقوى عليه . أما المتواضـع فيضـع أمامـه على الدوام قول الرسول "لا تستكبر بل خف" (رو ١١: ٢٠) وأيضاً "من يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط" (١كو ١٠: ١٢) . لذلك فهو يدقق فى كل صغيرة، ولا يلقى بنفسه فى مواطن العثرة، ولا يظـن فى نفسه أنه أكبر مـن الخطيـة. ويتذكـر كيـف أن الخطيـة "طرحـت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" (أم ٧: ٢٦) .

ولهذا تملكه المخافة فيحترس ويدقق. وهـذه المخافـة تمنحـه الحرص وتنقى قلبه .

يخـاف مـن الفكـر الطـارئ ، لئـلا يتـأصل ويتطـور إلـى مـا هـو أخطر. يخاف من الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم (نش ٢: ١٥) . يخاف من العثرات ويبعد عنها، ولا يدعى لنفسه القوة التـى تنتصـر على كل عثرة. ويقول لنفسه: أنـا لسـت أقـوى مـن أولئـك القديسـين الذين سقطوا . لست أقوى من داود (٢صم ١١)، ولسـت أقـوى ولا

أحكم من سليمان الذى سقط (١مل ١١) .

والإنسان المتواضع تصحبه المخافة مهما كبر ...

مهما كبر فى السن ، ومهما نما فى الروحيات، ومهما كان فى بيئة مقدسة . فإن آدم قد سقط وهو فى الفردوس، وفى حالة من البراءة فوق الطبيعة الحالية! فى حالة البساطة التى لا تعرف خطية، ولم تجرب خطية. وداود سقط وهو مسيح الرب، رجل الصلاة والمزمار. وكان روح الرب عليه (١صم ١٦: ١٣). وكان يضرب بالعود، فيذهب الروح الردئ عن شاول الملك (١صم ١٦: ٢٣) .

سليمان قد سقط ، وهو أحكم أهل الأرض كلها ، بحكمة ليست بشرية، وإنما هبة من الله نفسه (١مل ٣: ١٢) .

فمادام الشيطان يطارد حتى أعاظم القديسين ولا ييأس منهم . فعلينا إذن أن نضع مخافة الله فى قلوبنا .

إن بطرس الرسول لم يضع المخافة فى قلبه ، وقال للرب "لو أنكرك الجميع، أنا لا أنكرك" "ولو أضطرت أن أموت معك، لا أنكرك" (مت ٢٦: ٣٣، ٣٥) "أنا مستعد أن أمضى معك، حتى إلى السجن" (لو٢٢: ٣٣). يا ليت بطرس وضع المخافة فى فكره. وقال أنا أضعف يارب من التجربة ، ومن غربلة الشيطان لنا (لو٢٢: ٣١). اسندنى فأخلص. كن معى فى ساعة التجربة لئلا أضيع.

الإنسان المتواضع الذى تسكن المخافة فى قلبه، يلجأ دائماً إلى الصلاة طلباً للمعونة .

فى محاسبته لنفسه ، يدرك عمق خطاياه، فتملكه المخافة، فيصلى طالباً المغفرة. وأيضاً فى إدراكه لضعفه، تملكه المخافة فيصلى لكى يحارب الله عنه، فلا يقوى عليه العدو ...

وفى مخافته أيضاً يسعى إلى التوبة .

حياة التوبة توصل إلى مخافة الله .

ومخافة الله توصل أيضاً إلى التوبة .

والإثنان يعملان معاً ، كل منهما يكون سبباً للآخر، ونتيجة له..

الإنسان التائب ، خطيته دائماً أمام عينيه، تذكره بضعفه السابق هزيمته استسلامه للعدو، فيبكى على خطاياه فى مخافة الله . يقول مع داود النبى فى مزمور التوبة "خطيتى أمامى فى كل حين" مز ٥٠) .

والإنسان التائب كثير الدموع، كداود أيضاً ، الذى بلل فراشه دموعه (مز ٦) . وكل ذلك يثبته فى مخافة الله .

والإنسان التائب لم يصل بعد إلى الدالة التى تخفف المخافة .

إنه لا يزال يردد بعد عبارة "لست مستحقاً أن أدعى لك إبناً.." لو ١٥: ١٩) .

والإنسان التائب يكون دائماً كثير الحرص ، يخشى أن تصيبه نكسة فترجعه مرة أخرى إلى السقوط، لذلك تجده يحيا باستمرار في مخافة الله. إنه بالجهد قد وصل إلى مصالحة . وبجهد أكثر يحرص على إستمرار المصالحة معه ، وهكذا يبقى في مخافة الله .

ليتكم يا أخوتي تبقون في حياة التوبة ، التي تجلب لكم الحرص والمخافة .

حتى إن نقلكم الله إلى حياة الحب الإلهي ، تستمر مخافة الله في قلوبكم، كلون من المهابة له ولوصاياه ومقدساته .



٥ تصل إلى مخافة الله بمهابة الكبار

إذا تعود الإنسان أن يهاب من هو أكبر منه ، أعنى أن يهاب والديه، ومدرسيه، وأقاربه الكبار، وا باء الكهنة، ورؤسائه في العمل.. حينئذ سيصل بالضرورة إلى مخافة الله الذى هو أعظم من الكل ...

لأنه إن كان الشخص لا يهاب أباه الذى يراه، فكيف يمكنه أن يخاف الله الذى لا يراه؟!

إن أبا ا باء يعقوب يذكر هيبة أبيه اسحق (تك ٣١: ٤٢) . لهذا فإن الذى يشعر بهيبة أبيه وجلاله ووقاره، لا يستطيع أن يخطئ أمامه، ولا أن يخطئ إليه، من هيبة أبيه. وتقول وصايا العهد القديم "كل إنسان سبّ أباه أو أمه ، فإنه يُقتل. قد سبّ أباه أو أمه، دمه عليه" (لا ٢٠: ٩) . ويقول الكتاب أيضاً :

" **العين المستهزئة بأبيها، والمحتقرة إطاعة أمها، تقورها**

غربان الوادى" (أم ٣٠: ١٧) .

وهكذا أمر الله بطاعة الوالدين، وعدم الإستخفاف بأوامرهما. حتى إن كبر الإبن ، وناقش والده فى أمر من الأمور، يكون ذلك باحترام يليق بمعاملة الأب. ولا يجوز له أن يتحدث معه حديث الند بالند، أو يتعامل معه على قدم المساواة .. بل يضع أمامه باستمرار وقار الأبوة، ومستوى السن .

قديماً كان الصغار لا يستطيعون أن يتكلموا فى وجود الكبار، من فرط هيبتهم ...

نرى هذا واضحاً فى قصة أيوب الصديق، الذى كان له ثلاثة أصحاب تناقشوا معه مدة طويلة. بينما صمت رابع كان بينهم. وكان إسمه اليهو بن برخئيل البوزى. ولما أضطر إلى الحديث بسبب أخطائهم ، قال لهم "أنا صغير فى الأيام، وأنتم شيوخ. لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدى لكم رأياً. قلت الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة" (أى ٣٢: ٦، ٧) .

والقديس الأنبا بيجيمى السائح، يتحدث عن بدء رهبته، فيقول إنه عاش سنوات كثيرة وسط الشيوخ لم يرفع عينيه إلى وجه واحد منهم ...

أما فى أيامنا هذه ، فباسم الحرية والديمقراطية، قل احترام الكبار. وأصبح الصغير يمكنه أن يجادل الكبير ويستخف برأيه ، بدون إحترام..

وبالتالى يتدرج إلى الجرأة علىكل ما هو كبير، حتى على القانون، وعلى النظام العام، ويفقد المخافة، فيتحول إلى الإستهانة بكل شئ... وما أسهل فى هذا الوضع أن يفقد مخافته لله أيضاً ، ويفقد احترامه لوصاياه. وبدلاً من أن يطيعها، يناقشها!!

ولكن لا يمكن أن يفعل هذا ، من تعود إحترام القانون والنظام. إن الشخص الذى يحترم إشارة المرور، ولا يمكن أن يكسرها مهما كانت الدوافع، هذا سيحترم بالأولى وصية الله ويهابها ...

كذلك التلميذ الذى تعود إحترام مدرسه، والجندى الذى تعود إحترام قائده، كلاهما سيتعود مخافة الله .

قديماً ، فى القرن الأول الميلادى ، وقبل الميلاد ، كان المعلم أو الأستاذ يجلس على كرسيه فى قاعة الدرس، بينما يجلس التلاميذ على الأرض عند قدميه. كما ذكر بولس الرسول إنه تعلّم "عند قدمى غمالائيل" (أع ٢٢: ٣) .

بهذا الوضع تعود التلاميذ إحترام معلميهم. ولكن الوضع تغير

ا ن.. وأصبح على الأقل، إذا تحدث التلميذ مع أستاذه، يجب أن يقف ليكلمه. ولا يتكلم التلميذ وهو جالس مع استاذه ، بينما الأستاذ واقف!!

بنفس وضع إحترام المعلمين قيل عن مريم أخت مرثا إنها "جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه" (لو ١٠: ٣٩) .

هذه الهيبة تقدم أيضاً لرجال الدين . لأن الذى يهاب خادم الرب ، سيهاب بالأكثر رب هذا الخادم...

والذى يهاب وكيل الله (تى١: ٧) ، لابد أن يهاب الله نفسه .. وهكذا رأينا كيف كانت مهابة داود النبى لشاول الملك باعتباره مسيح الرب، على الرغم من أخطاء شاول، ومحاولته قتل داود!! إلا أنه لما وقع شاول فى يده، رفض أن يوقع به، وقال لرجاله "حاشا لى من قبل الرب لن أعمل هذا الأمر بسيدى مسيح الرب، فأمد يدى إليه، لأنه مسيح الرب هو" (١صم ٢٤: ٦) .

ومن مهابته كمسيح الرب ، كان داود يناديه يا سيدى، وكان يسجد أمامه (١صم ٢٤: ٨) .

وكمثال من هيبة رجال الله ، هيبة المعترف لأب اعترافه، كوكيل لله فى سماع خطاياه .

فتكون جلسة الإعتراف لها هيبتها ولها وقارها . يشعر فيها المعترف أنه أمام الله، يعترف عليه فى سمع الأب الكاهن. وإنه إلى الله وحده قد أخطأ (مز ٥٠) وأنه يأخذ الحل من الله، من فم الكاهن.

والذى يهاب أب اعترافه ، بالتالى يهاب الله .. ولكن حذارِ من أن تعتقد أن العلاقة فى الإعتراف هى بينك وبين أب الإعتراف، وليست بينك وبين الله! وتخجل من أب الاعتراف بسبب خطاياك، دون أن تخجل من الله !!

ـ إن المهابة لا نقدمها للآباء الكهنة فقط ، وإنما أيضاً للقديسين الذين انتقلوا.

فالرسل مثلاً ينبغى أن نتحدث عنهم فى مهابة .. وإذا اقتبسنا من رسائلهم، لا نقول: يقول بطرس ويقول بولس .. إنما نقول معلمنا القديس بطرس الرسول، ومعلمنا القديس بولس الرسول.. فى مهابة لهم .

ونفس الوضع بالنسبة إلى آباء البيعة .فكثيراً ما يتحدث البعض للأسف قائلين : هذا هو تعليم أثناسيوس وكيرلس. أما الذين لهم فى قلوبهم هيبة وإحترام بآبائنا القديسين، فيقولون: حسب تعليم أبينا القديس العظيم البابا أثناسيوس الرسولى ...

والكنيسة كمثال لاحترام القديسين تضع فى صلوات البسخة المقدسة لحناً يسبق عظة القديس التى تقرأ، ولحناً آخر فى ختامها، بكل إجلال ..

لحن فى منتهى الجمال نبدأ به العظة ، ويقدمها المرتل للسامعين. وفى نهايتها يقول "فلنختم عظة أبينا القديس الأنبا فلان، الذى أنار عقولنا وقلوبنا بتعاليمه النافعة" .. حقاً هذا هو إحترام القديسين وهيبتهم فى الكنيسة .

ولا ننسى الذكصولوجيات العديدة، وكل ما نقوله من تماجيد للقديسين، تجعل هيبتهم مثل محبتهم فى قلوب المؤمنين. والزفة بالألحان والموسيقى لرفاتهم فى أعيادهم ...

وكذلك الاحترام الكبير لأيقونات القديسين .

من حيث تدشينها بالميرون المقدس ، لتكون بركة للناس. وأيضاً إيقاد الشموع أمامها لإظهار أن القديس كان نوراً للناس . يضاف إلى هذا تبخير الكاهن أمام أيقونة القديس بكل توقير . وزفة الأيقونة فى عيد القديس بالتهليل والألحان.

فإن كنا على هذا القدر نحترم القديسين وسيرتهم وأيقوناتهم وأعيادهم وعظاتهم ، فكم بالأولى يكون شعورنا نحو الله خالق كل

هؤلاء ، وما ينبغى أن نظهره نحوه من مهابة ومخافة .

وكما يتدرب المؤمن على إحترام القديسين ومهابتهم، يتدرب أيضاً على مهابة الملاك الحارس له ...

فلتكن لك إذن مهابة للملاك الحارس لك، مهابة لقدسيته ورسالته. فتستحى من هذا الملاك أن تفعل خطية أمامه، أو تلفظ نفظة غير لائقة. قل لنفسك : كيف أفعل خطية ، ويرانى هذا الملاك القديس الطاهر الذى إلى جوارى؟! فيشمئز منها ولا يحتمل، فيتركنى ويذهب عنى، وهو يردد المزمور القائل: فى طريق الخطاة، وفى مجلس المستهزئين لا تجلس (مز ١) .

طبعاً يمكن أن يأتى الملائكة إلى مجالس المستهزئين، لكى يوبخوهم، أو يقودوهم إلى التوبة . أما المستهترون المستمرون فى لا مبالاتهم، فإن الملائكة ينفرون منهم، ويتركونهم فى لهوهم مع أصحابهم الشياطين. لأنه لا شركة للنور مع الظلمة، ولا خلطة للبر مع الإثم (٢كو٦: ١٤) .

إن خوفك من أن يتركك الملاك الحارس ، هو جزء من مخافتك لله .

فاحرص على هذه المخافة ، واحذر من أن تبعد عنك الملاك

الحارس بسبب خطية أو نجاسة . وأذكر قول الكتاب "ملاك الرب حال حول خائفي الرب، وليس حول المستهترين والمستبيحين .. وكأنك حينما تخطئ، إنما تطرد ملائكة الرب من حولك !!

هل تظن أن ملاك الرب يقف ليتفرج على منظر نجس شرير. كلا. إن الملاك قديس لا يقبل ذلك، بل يبتعد ويمضي. أو على الأقل يقول: نبعد ا ن إلى أن يرجع صاحبنا هذا إلى عقله ، أو نعمل على هدايته من بعيد، بأن نشفع فيه ...

وما نقوله عن الملائكة ، نقوله أيضاً عن أرواح القديسين ، وأرواح أحبائك الذين انتقلوا .

إن كنت تخاف أن يروك وأنت في حالة خطية ، وتخجل من ذلك جداً، ابتعد عن الخطية ونجاستها، ويقودك هذا الشعور إلى مخافة الله ...

على أن مهابتك لا تقتصر على كل تلك الدرجات العليا، من ملائكة وقديسين وآباء ...

بل ينبغي أن تشمل مهابتك كل القيم والتقاليد .

لأن الذي يستهتر بالتقاليد والأنظمة والمبادئ والعادات المرعية، سيأتي وقت عليه سيتهين فيه بوصايا الله ..!

والجيل الذى يتمرد على السلطة ، كل سلطة، سلطة الأب والمدرس ورئيس العمل، وسلطة الحكام أيضاً ، سيأتى وقت عليه يتمرد فيه على الله نفسه ...

والذى لا يحترم من هو أكبر منه سناً ، سيأتى وقت عليه لا يحترم فيه من هو أكبر منه مقاماً. وقد يتطور إلى أن يتذمر على الله نفسه ، ويفقد مخافته لله ..

فلنتدرب إذن على احترام الكبار ومهابتهم، فنصل بذلك إلى مخافة الله ومهابته .



٦ تصل إلى مخافة الله بالخشوع واحترام المقدسات

إذا وقفت لتصلى ، تذكر أمام من أنت واقف ؟ .. أنت واقف أمام ملك الملوك ورب الأرباب ...

أمام هذا الإله المهوب ، الذى تقف أمامه الملائكة بخشية، الشاروبيم والسارافيم : بجناحين يغطون وجوههم، وبجناحين يغطون أرجلهم.. والأربعة والعشرون كاهناً الجلوس على عروشهم، يطرحون أكاليلهم أمام عرشه، ويسجدون للحى إلى أبد الآبدين، وهم يقولون: أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهى بإرادتك كائنة" (رؤ ٤: ١٠، ١١) .

وأنت أين مخافة الله فى قلبك أثناء صلاتك؟! ليتك تقف أمامه بالهيبة التى تقف بها أمام رؤسائك!

يقول مار اسحق عن مخافة الله أثناء الصلاة .

قف أمام الله فى الصلاة ، كما لو كنت واقفاً أمام لهيب نار .

إن أبانا ابراهيم حينما وقف أمام الله، قال " شرعت أن أكلم المولى، وأنا تراب ورماد" (تك ١٨: ٢٧) .

أتقول إنك فى صلاتك تكلم أباً ؟ .. نعم ، ولكنه ليس أباً عادياً ، وإنما علمنا الرب أن نقول "أبانا الذى فى السموات" . تذكّر إذن عبارة (السموات) هذه ، التى هى عرش الله (مت ٥: ٣٤). لذلك نحن حينما نصلى، نرفع أعيننا إلى فوق، متذكرين عرش الله فى السماء .

مارإسحق يتحدث عن الزى الحسن أثناء الصلاة .. الذى من أهم مظاهره : جمع الحواس، وجمع الفكر ..

قف فى صلاتك بتوقير ، فى مهابة ، عالماً أمام من أنت واقف. قف منتصب القامة . لا تحرك يديك ولا رجليك . ولا تسمح لحواسك أن تنشغل بشئ آخر، ولا أن تقطع صلاتك بأى شئ يستلفت حواسك، فتلتفت إليه وتسرح بعيداً عن الله. وبين الحين والآخر، تبرهن على احترامك لله، بالإنحناء أو الركوع أو السجود، وأنت مركز الفكر فى حديثك مع الله ..

سألنى البعض : لماذا أصلى ، وأفكارى تطيش فى موضوعات أخرى؟ فقلت له : لأنها صلاة خالية من مخافة الله .

حقاً لو أن مخافة الله ثابتة فى قلبك ، لكنت تصلى بفكر مركز ،

ولا يسرح عقلك فى شئ آخر أثناء حديثك مع الله. ولا تظن أن بنوتك لله تنسيك مهابته!! وإن حاول فكرك أن يطيش ، ارجعه بسرعة.. ربما لم يتعود التركيز بعد ... لذلك درّبه على الثبات فى الرب ...

كذلك الذى يصلى بلا فهم ، وبلا مبالاة ، أو ينسى ما يقول .. هذا أيضاً يصلى ، وليست مخافة الله فى قلبه ..

إنه ليس إحتراماً لله ، أن تتحدث معه هكذا ، بلا خشوع ، وبلا فهم .. أو أن تنشغل بغيره أثناء حديثك معه ، أو أن تكلمه وأنت لا تدرى ماذا تقول ! أو أن تسرع فى صلاتك لكى تنتهى منها بسرعة، كأنك قد مللت من الحديث مع الله!! أو لديك أمور أخرى أهم تريد أن تنشغل بها !! أو أسوأ من هذا ، أن تقول : ليس لدى وقت للحديث مع الله !! وكل هذا يدل على عدم المخافة .

إن مخافة الله تمنحك إحترام الله فى صلاتك .

وأيضاً الخشوع فى الصلاة يوصلك إلى مخافة الله .

وتدخل فى هذا الخشوع ، ألفاظ الإتضاع التى تستخدمها فى الصلاة . كأن تبدأ صلاتك بعبارات التمجيد والتسبيح، وتقول "من أنا يارب حتى أتحدث إليك؟! أنا التراب والرماد ، أنا الخاطئ المتدنس ..

كذلك تذكر إسم الرب بكل إجلال، وليس مثل الذيـن يقولـون "يـا يسوع، يا يسـوع" . بـل كـن مثـل السـارافيم الذيـن يقولـون " قـدوس قدوس ، رب الجنود . مجده مـلء كـل الأرض" (أش ٦: ٣) فتهتز الأساسات لصلواتهم .

وكما تظهر مخافة الله فى صلاتك ، تظهـر أيضـاً فـى علاقتـك بكتاب الله وبيت الله، وكل ما يتعلق بالله ...

فتدخل إلى الكنيسة بكل إحترام، وأنـت تصلـى فـى قلبـك وتقـول للرب "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلـى بيتـك، وأسـجد قـدام هيكـل قدسك بمخافتك" (مز٥: ٧) .

اشعر وأنت فى الكنيسة ، أن هذا هو بيت اللـه وبيـت الملائكـة، وبيت العبادة . واذكر قول المزمور :

" لبيتك ينبغى التقديس يارب كل الأيام " (مز ٩٣: ٥) .

هذا التقديـس يمنحـك مهابـة للكنيسـة ، ومهابـة للهيكـل، ومهابـة للأسرار المقدسة وللصلوات ...

ولا تتكلم فى الكنبسة مع أحـد أثنـاء الصلـوات، فهذا يـدل علـى عدم احترامك للكنيسة ، وعدم احترامك للصـلاة . وانشـغالك عنهـا بالكلام، وعدم إشتراكك فى الصلاة . وكـل هـذا يـدل علـى أنـك قـد دخلت إلى الكنيسة بغير مخافة الله! ليتك تذكر قول أبينا يعقوب أبى الآباء:

" ما أرهب هذا المكان . ما هذا إلا بيت الله ، وهذا باب السماء " (تك٢٨: ١٧) .

نعم رآه مكاناً رهيباً ،وخاف ، على الرغم من محبة الله التى أظهرها له فى ذلك المكان، وافتقاده بالسلم السمائى، وبنظره للملائكة .

لا شك أن المكان الذى يحل فيه الرب ، هو مكان رهيب . والمكان الذى يحل فيه الروح القدس عاملاً فى الأسرار المقدسة، هو مكان رهيب .

من أجل هذا ، لما اقترب موسى من موضع يكلمه فيه الله، قال له الرب، ليدخل الخشية إلى قلبه :

"اخلع حذاءك من رجليك. لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة" (خر ٣: ٥) .

ونفس الكلام قيل أيضاً ليشوع النبى (يش ٥: ١٥) . إن خلع الحذاء يرمز أيضاً إلى خلع كل الأمور المادية والأرضية، أثناء وجودك فى بيت الله .. كما يدل على إحترام المكان المقدس .

على الأقل نقف فى الكنيسة بمخافة الله ، ونجلس فيها – وقت الجلوس – بمخافة الله . لا نتكلم مع من يجلس إلى جوارنا ونحكى!! ونعلقّ على ما نسمعه وما نراه !! إن الذى يفعل هكذا،

ليست فيه مخافة اللـه . وكذلك الـذى يدخـل إلـى الكنيسـة وفـى يده مجلة، أو فى جيب قميصه علبة سجاير !!

الذى لا يوقر بيت الله ، طبيعى لا يوقر الله نفسه . فـإن وقـرّ الله، سيوقر بيته .

نقول هذا ونحـن نأسـف لبعض المسـئولين فـى الكنيسـة مـن خدامها، الذيـن يدخلـون إلـى الكنيسـة بسلطان، بغير هيبـة للمكـان، يـأمرون وينهـون، ويرفعـون صـوتهم، ويمشـون فـى عظمــة!! ولا يفرقون بين بيت الله وبيوتهم الخاصة!!

أما الذى يهاب الكنيسة، فمن الطبيعى أن يهاب الهيكل بالأكثر.

ولذلـك فنحـن فـى كنيسـتنا القبطيـة لا ندخـل إلـى الهيكـل مطلقـاً بأحذيتنا، كما تفعل كنائس الغرب!! ولا نسمح بالدخول إلى الهيكـل، إلا لخـدام المذبح فقـط . ونحـن نسـجد أمـام الهيكـل. والأب الكـاهن يبخر أمامه ونحيط الهيكل بلون كبـير مـن المهابـة، وبـالأكثر مذبـح الله الذى يوجد داخله ، والذى نرفع حوله البخور ..

أما الذين لا يهابون الهيكل ولا المذبـح، فسـيأتى وقـت عليهم لا يهابون فيه الأسرار المقدسة أيضاً !!

المهابة أيضاً يبنغى أن تشمل الكتاب المقدس .

لذلك فعند قراءة الإنجيل فـى الكنيسـة المقدسـة، يصيـح الشـماس

قائلاً " قفوا بخفوا بخوف من الله، وأنصتوا لسماع الإنجيل المقدس". فيقف الشعب كله احتراماً، ورئيس الكهنة ينزع تاجه من فوق رأسه خشوعاً أمام كلمة الله. بل قبل قراءة الإنجيل، يصلى الكاهن أوشية يقول فيها للرب "اجعلنا مستحقين أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة، بطلبات قديسيك" . ويرفع البخور ونقبل الإنجيل .

فهل بنفس الاحترام نتعامل مع الكتاب المقدس فى بيوتنا ؟

هناك أشخاص قد يضعون الكتاب المقدس فى أى مكان فى بيوتهم . وقد يكون تائهاً وسط الكتب ! أما الإنسان الروحى الذى يخاف الله، فلا يضع شيئاً فوق الكتاب المقدس .

الكتاب المقدس لا يوضع فوقه إلا الصليب أو كتاب مقدس آخر. هكذا نحترمه ونوقره . كذلك نقرأ الكتاب فى توقير داخل بيوتنا . وبقدر ما نهاب الكتاب، نهاب أيضاً الوصايا المكتوبة فيه ، وتدخل مخافة الله فى قلوبنا .

يبنغى أن يفرّق كل إنسان بين قراءة الكتاب المقدس وقراءة أى كتاب آخر .

فلا تقرأ الكتاب وأنت نائم، أو وأنت مستلق فى إسترخاء، أو وأنت تشرب كوباً من الشاى. كل هذه الأخطاء تطرد مخافة الله من قلبك.

هناك من يبدأون قراءة الكتاب بصلاة . وهذا أفضل . كما يصلى الكاهن قائلاً "اجعلنا مستحقين أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة" مجرد السماع يحتاج إلى صلاة وإلى استحقاق، وإلى رفع بخور فى الكنيسة . فلنأخذ من هذا درساً .

تلزمنا أيضاً المخافة فى كل ما يتعلق بالله .

المخافة أثناء حضور القداس الإلهى . هذه المخافة التى يفقدها البعض، وهم يستمعون إلى القداس المذاع أو إلى القداس المسجل على شريط كاسيت أو شريط فيديو. فيستمعون وهم منشغلون ببعض أمور البيت، أو وهم فى العربة مركزين فى قواعد المرور وهم جلوس!! يستحسن فى العربة إستبدال القداسات المسجلة ، بألحان أو عظات أو تراتيل ...

كذلك من احترام القداس أن تحضر إليه مبكراً، ولا تخرج أثناءه، بل بعد سماع البركة والتسريح . وكذلك كل أنواع المخافة التى تتعلق بالتناول: مثل الإستحقاق للتناول من توبة وصلح وصوم، والهيبة أثناء التناول وعدم التزاحم، والصلاة قبل التناول وبعده ، والحرص الجسدى أيضاً ...

إن الذى يهاب الكنيسة والهيكل والتناول ، لابد أن مخافة الله تسكن فى قلبه .

كذلك الذى يهاب رجال الله من ملائكة وبشر . فيهاب الملاك الحارس له، ويستحى من أن يخطئ أمامه، ويهاب ملائكة المذبح والذبيحة، وملائكة الكنيسة .

كذلك الذى يهاب أرواح الذين انتقلوا، ويخاف أن ينظروا إليه وهو فى حالة خطية، أو يروا أى منظر له يعمله فى الخفاء، أو أى رياء يظهر به أمام الناس!

كذلك الذى يهاب رجال الكهنوت عموماً ، وأيضاً الأب الروحى والإرشاد الروحى، عالماً أنهم وكلاء لله على الأرض (تى ١: ٧) ووكلاء سرائر الله (١كو٤: ١) .

لاشك أن الذى يهاب ملائكة الله، ورجال الله، وقديسى الله، لابد أن مخافة الله تدخل إلى قلبه .

بل إن كثيرين يحترمون مجرد أيقونة القديس . والكنيسة تبخر أمام أيقونات القديسين المدشنة، وترتل الألحان تمجيداً للملائكة والقديسين. فكم بالأولى خالقهم.

وكما نوقر رجال الرب ، نوقر أيضاً يوم الرب . فالذى بكل مخافة، يخشى أن يكسر تقديس يوم الرب، لابد أن تكون مخافة الله ساكنة فى قلبه .

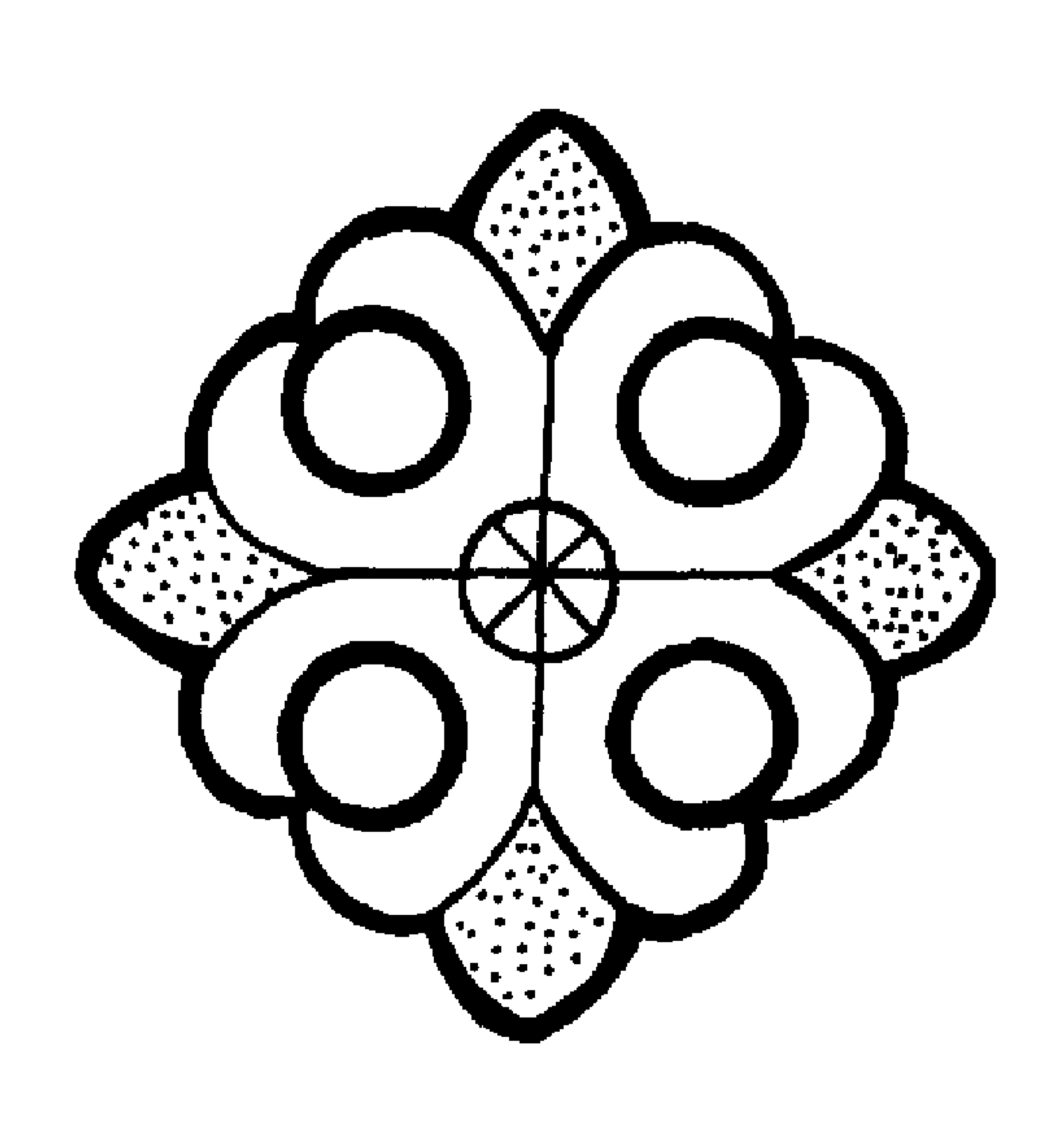
وبنفس الوضع الذى يخشى أن يكسر وصية الصوم لأى سبب

من الأسباب، ولا يتهاون فى ذلك، لابد أن تكون مخافة الله ساكنة فى قلبه .

كذلك يصل إلى مخافة الله من يحرص على عهوده مع الله، ويوفى للرب نذوره .

ولا يحاول بعد أن ينذر نذراً ، أن يتفاوض فى الأمر، من حيث الوفاء بالنذر، أو تغييره أو تأجيله ، غير واضع فى قلبه أن نذره هو اتفاق بينه وبين الله واجب الاحترام والهيبة، كما قال الكتاب "خير لك أن لا تنذر، من أن تنذر ولا تفى" (جا٥: ٥) .

إن الإلتزام بالنذور والعهود ، توصل الإنسان إلى مخافة الله . وكسر النذر يطرد مخافة الله من القلب .



(٧) تداريب على مخافة الله

لكى تصل إلى مخافة الله ، حاول أن تسلك فى التداريب ا تية:

ضع الله أمام عينيك باستمرار، وتذكر أن أعمالك كلها مكشوفة أمامه .

إنه يرى كل ما تفعله، ويسمع كل ما تقوله . وكما قال القديس مقاريوس الكبير "فلنعلم أن كل ما نعمله عريان ومكشوف لديه، ولا تخفى عليه خافية" .

قال القديس الأنبا أشعياء المتوحد "إذا قمت باكر كل يوم، تذكر أنك ستعطى جواباً عن أعمالك. فإنك بذلك لن تخطئ، ومخافة الله تسكن فيك ..." .

مشكلتنا أننا لا نضع الله أمام أعيننا أثناء ارتكاب الخطية. لذلك نشرب الخطية كالماء، ولا نتذكر الله! لذلك ليس عبثاً قال داود النبى عن الخطاة فى المزمور:

" اللهم إن مخالفى الناموس قاموا علىّ – ولم يجعلوك أمامهم" (مز ٨٦: ١٤) . ضع الله أمامك إذن، فتخاف ولا تخطئ .

ما أجمل عبارة كان يقولها إيليا النبى وهى:

"حىّ هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه" (١مل١٨: ١٤) .

ولكى تصل إلى مخافة الله ، ضع أمامك باستمرار مجد الله وعظمته ، فتملكك هيبته، فتخاف .

الله الذى هو ملك الملوك ورب الأرباب (رؤ١٩: ١٦). الله العالى، خالق الكل وسيد الكل الذى نحن أمامه مجرد تراب.. كيف نتحداه ؟!

ضع أمامك أيضاً عدل الله ، الذى سيجازى كل واحد حسب عمله (مت١٦: ٢٧) (رؤ٢٢: ١٢) . وقل لنفسك: أين أهرب من عدل الله، أنا المضبوط فى الخطايا ؟!

ضع أمامك أيضاً صلاح الله وقدسية الله الذى يشمئز من الخطية .

إن كنت أمام أصحابك الأتقياء لا تجرؤ أن تفعل خطية، أو تتلفظ بكلمة غير لائقة، فكم بالأولى أمام الله الكلى القداسة. لذلك أمام صلاحه تخاف أن تخطئ، ويملكك الإستحياء ..

واذكر أن الخطية موجهة إلى الله ذاته فتخاف .

كما قال داود النبى فى مزمور التوبة "إليك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت" (مز ٥٠) .

أو كما قال يوسف الصديق "كيف افعل هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله؟!" (تك ٣٩: ٩) . ليتك تحفظ هذه ا ية ، وترددها كلما حوربت بالخطية. حينئذ تدخل مخافة الله إلى قلبك ...

شعورك أنك بالخطية تجرح قلب الله المحب ، وتحزن روح الله القدوس فى داخلك (أف ٤: ٣٠) ، وترفض شركته معك .. كل ذلك يجعلك تخاف .

بكتّ نفسك كهيكل لله يحل الله فيه ..

قل لنفسك هل سوف أظلّ هيكلاً لله ، ويسكن روح الله فىّ ، إن تدنست بالخطية ؟! هوذا الرسول يقول "إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله. لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو" (١كو٣: ١٦، ١٧) .

وتذكر أيضاً قول الرسول "ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح . أفآخذ أعضاء المسيح، وأجعلها أعضاء زانية؟! حاشا" (١كو٦: ١٥) .

أيضاً تأتيك مخافة الله إن سلكت فى حياة التوبة .

التوبة توصلك إلى مخافة الله . ومخافة الله توصلك إلى التوبة. الذى يسلك فى التوبة، يشعر ببشاعة الخطية، وكيف أنها تفصله عن الله وتعرضه للدينونة الرهيبة فيخاف .

والذى يسير فى طريق التوبة ، يخاف على نفسه من السقوط. ويخاف إن سقط ، أن يتطور معه الأمر إلى أسوأ، من الحواس إلى الفكر، إلى القلب إلى العمل، إلى أن تصبح الخطية عادة عنده تستعبد إرادته لها، فيخاف .. ويقول: إن بدأت الخطية ا ن، وأنا أظن أنى مسيطر على الخطية أستطيع أن أتركها فى أى وقت!! فلابد سيأتى الوقت الذى تصبح فيه الخطية مسيطرة علىّ ...

لذلك تصل إلى المخافة ، بالمواظبة على محاسبة النفس .

ومع الدقة فى ذلك . وكما قيل فى بستان الرهبان: يجب أن نحاسب أنفسنا فى كل بكرة وعشية: ماذا عملنا مما يحبه الله، وماذا عملنا مما لا يحبه . ونفتقد أنفسنا بالتوبة . وبهذه السيرة عاش القديس الأنبا أرسانيوس .

قال القديس العظيم الأنبا موسى الأسود :

"إذا قمت باكر كل يوم بالغداة ، تذكر أنك سوف تعطى لله حساباً عن سائر أعمالك فى هذا اليوم".

وبهذا تدخل مخافة الله إلى قلبك ...

نعم ، نحن محتاجون أن نراجع أنفسنا كل يوم، لكى نصل إلى المخافة .. نحن محتاجون أن يفحص كل إنسان قلبه، ويرى هل فيه

عنصر التهاون ، أو فيه شئ من اللامبالاة وعدم الإكتراث وعدم الحرص وعدم مخافة الله ...

لنرجع إلى بداية الطريق يا أخوتى ، إن كنا قد ضللنا علامات الطريق . نرجع إلى المخافة ، ومنها نبدأ . ونتدرج منها حتى نصل إلى الحب .

ولندرك علامات عدم المخافة ، ونبعد عنها :

فالذى يسرح مع الخطية ويتفاوض معها، مخافة الله ليست فى قلبه. والذى يتكبر ويتعجرف ويقسو على غيره، واضح أنه ليست فى داخله مخافة الله . وكذلك من لا يضع يوم الدينونة أمام عينيه على الدوام، ويعمل من أجل رهبة ذلك اليوم، هذا أيضاً بعيد عن مخافة الله. والذى يستغل طول أناة الله استغلالاً رديئاً، فيصل إلى الإستهتار بدلاً من التوبة، هذا أيضاً لا توجد مخافة الله فى قلبه .

اعطيك تدريباً آخر سهلاً تصل به إلى مخافة الله، وهو:

حاول أن تخاف الله، كما تخاف الناس ..!

الشئ الذى تخاف أن تعمله أمام الناس ، خف أيضاً أن تعمله أمام الله. والفكر الذى تخاف أن يعرفه الناس، لا تفكر فيه أمام الله. لأن الله يعرفه ويفحصه . كل ما تخاف أن يعرفه الناس عنك، خف

أيضاً من أن يراه الله فيك. الخطايا الخفية، التى تعملها فى الخفاء، وتخشى من إرتكابها أمام الناس، اخجل من ارتكابها أمام الله.

وإلا فإن الله يقول لك إنك لم تجعل لى هيبة عندك . مثل هيبتك لباقى الناس!! لم أتساوَ فى اعتبارك مع إنسان من تراب ورماد! هذا التراب والرماد تعمل له ألف حساب، وأنا لا تعمل لى حساباً أبداً..!

درّب نفسك على مخافة الله فى حجرتك المغلقة ...

لأنك إن كنت فى الخفاء ، حيث لا يراك أحد، تسلك فى مخافة الله، ففى العلن ، فى محيط الناس، ستكون مخافتك أكثر. إذن فالإنسان الذى يخاف الله ، يحترس من كل الخطايا الخفية .

تصوروا فتاة مثلاً لا تتصرف فى حجرتها الخاصة باستهتار، وتسلك بكل إحتشام في حجرتها المغلقة عليها حيث لا يراها أحد .. هذه منّ غير الممكن أن تستهتر خارج بيتها .. إن كانت مع نفسها تحتفظ بحيائها وبمحافتها لله، فطبيعى وسط الناس سيكون حياؤها أكثر ..

إن كانت وهى وحدها فى بيتها ، إن نظرت ملابسها قد انكشفت قليلاً، تسرع بتغطية نفسها فى خوف الله، بينما لا أحد يراها، ولكنها تخجل من ذلك أمام الملائكة وأرواح القديسين.. فهل تظنونها

تفقد حشمتها ومخافتها لله في وسط الناس؟! مستحيل ..

بل الإنسان الذى يخاف الله ، يستحى حتى من الفكر الذى لا يراه أحد .

يستحى من مشاعره الداخلية ، ومن نياته الخفية، لأنه يعرف تماماً أن الله يراها. هذه الخفيات هى واضحة وظاهرة أمام الله. لذلك كن حريصاً، وبكّت نفسك على كل فكر غير لائق.. وحاسب نفسك على ذلك بشدة, أكثر من شدتك فى محاسبة الناس على ما هو ظاهر منهم .

وفى اعترافك أمام الأب الكاهن ، لا تجعل اعترافك سهلاً .

أى لا تذكر الاعتراف بالخطية بأسلوب عادى كأنه مجرد قصة ترويها .. وإنما ليكن ذلك فى خجل ، وفى ندم، وفى حزن بسبب سقوطك. واعرف أنك تذكر ذلك أمام الله نفسه فى سمع ا ب الكاهن. وبمقدار ندمك وحزنك، تدخل مخافة الله إلى قلبك.

ولكى تصل إلى مخافة الله ، لا تجعل العالم يطويك فى طياته.

بحيث تصير فى دوامة من المشغوليات لا تبقى لك وقتاً تفكر فيه فى حياتك وأبديتك ومصيرك!! وبحيث يختفى إسم الله من فكرك، وتنساه وتنسى وصاياه.. وبالتالى لا تكون مخافته فى قلبك

وفى ذاكرتك .

إنما بين الحين والحين ، انسحب من هذه الدوامة ، وانظر إلى الله ، الذى هو دائماً ناظر إليك ..

وكما قال أحد الشيوخ فى بستان الرهبان "فى كل شئ تصنعه، اعلم أن الله ينظر إليك دائماً، لتكون مخافته فيك ".

إذا أردت أيضاً أن تخاف الله ، عاشر الذين يخافونه .

لكى تتعلم من سلوكهم مخافة الله، ولكى يدخل إلى قلبك الحرص والتدقيق الذى فيهم. ومن الناحية الأخرى احترس جداً من خلطة المستهترين، لأن خلطتهم تبدد مخافة الله فيك، وتشجعك على اللامبالاة. لذلك اضبط نفسك جيداً، حتى لا تتأثر بالأوساط الخارجية الخاطئة التى لا تخاف الله.. بل ابعد عن المجالس التى ليست فيها مخافة الله.

كذلك لكى تصل إلى المخافة ، احذر من التذمر على الله .

وابعد عن معاتبة الله فى كل أمر، وكأنك تنسب إليه كل ما ينالك من فشل، وكل ما تصيبك من ضيقات .

إن الإنسان الذى باستمرار يأتى بالملامة على الله، ويقول له: لماذا تفعل بى يارب هكذا؟ لماذا تتسبب فى فشلى وفى ضياعى؟..

لماذا تعاملني بهذا الأسلوب؟ .. مثل هذا الإنسان، بهذا التذمر، ا
كثيرا عن مخافة الله.

بل قد يصل البعض إلى التجديف، من دوام تذمرهم على
وبعض الشعوب وصلت بهذا التذمر إلى الإلحاد!

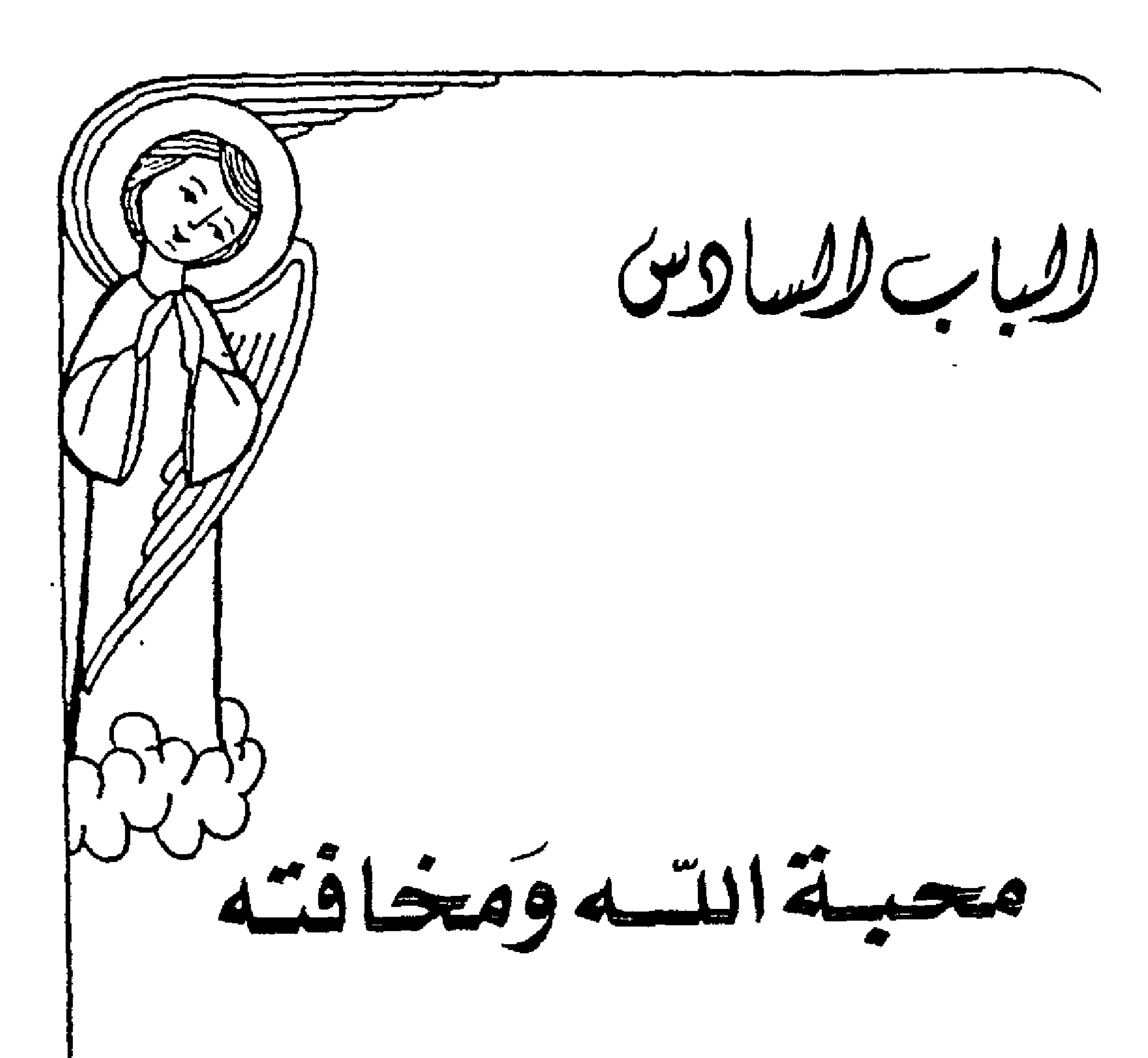
أما أنت فإن عاتبت أحياناً على فشل ما، إنما عاتب نفسك،
الله. بهذا تصل إلى مخافة الرب ...

**ولكى تصل إلى مخافة الله ، لا تذكر إسم الله إلا بكل
واحترام، "ولا تنطق باسم الله باطلاً " (خر ٢٠: ٧) .**

لا تستخدم إسم الله باستهانة ، وفى أية مناسبة تستحق
تستحق، لأن إسم الله قدوس هو.. ولا تجعل إسم الله سهلاً
لسانك، ولو عن طريق الدالة!! فالدالة لا تمنع توقيرك لله.. ا
أنك فى كل صلاة ربية، تقول لله " ليتقدس إسمك " .

فالذى يذكر إسم الله بالإجلال ، تدخل مخافة الله فى قلبه.

وبعد ، ها نحن قد تحدثنا كثيراً عن الوسائل التى توصلنا
مخافة الله... أحب بعد ذلك أن انتقل بك إلى العلاقة بين مخافة
ومحبة الله ..



الباب السادس

محبة اللـه وَمخافته

المخافة تسبق المحبة وتستمر معها

كثيرون ينفرون من مخافة الله، ويتمسكون بالمحبة، دون أن يدركوا ما هى المخافة؟ وما هى المحبة؟ وما العلاقة بينهما. وأود أن أقول لكل منهم: حسن أن تتمسك بمحبة الله. ولكن لكى تصل إلى هذه المحبة، لابد أن تبدأ بالمخافة .

مخافة الله هى بدء الطريق ، ونهايته هى المحبة .

وأنت لا تستطيع أن تبدأ الطريق من نهايته .

لذلك اسلك حسب المنهج الطبيعى الذى شرحه الكتاب فقال "بدء الحكمة مخافة الرب" (أم ٩: ١٠) ، "رأس الحكمة مخافة الله" (مز ١١١: ١٠) .

بمخافة الله تتعود طاعة الوصية. أما محبة الله فهى نهاية الطريق وقمة العمل الروحى "بها يتعلق الناموس كله والأنبياء" (مت٢٢: ٤٠) . والذى يصل إليها، لا يحتاج معها إلى وصية أخرى . فهى تشمل كل الفضائل داخلها .

والإنسان الحكيم يبدأ الطريق من أوله، بالمخافة . ومخافة الله توصله إلى المحبة. فكيف ذلك؟

مادام الإنسان يفعل الخطية، أو يشتهى الخطية، إذن فمخافة الله ليست فى قلبه. إذن يبدأ بالمخافة ، فيتوب، ويبعد عن الخطية مهما كانت محبتها لا تزال فى قلبه، وينفذ الوصايا ولو بالتغصب. ويسلك فى وسائط النعمة من صلاة وقراءة وتأمل وتسبيح... ولو من أجل الطاعة مادام لم يصل بعد إلى الحب. ذلك لأنه فى مرحلة "يشتهى فيها الجسد ضد الروح، والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما ا خر..." (غل٥: ١٧) .

والمبتدئ فى حياة الروح لم يصل بعد إلى التحرر من الخطية، فهو يغصب نفسه على تركها، خوفاً من أن يغضب الله .

وخوفاً من أن يسقط، ويحزن روح الله، ويتعرض لعقوبته... ولكن الأمر لا يستمر هكذا .

فكلما ينفذ الوصايا، يجد فيها لذة، فيحبها .

يجد أن "وصية الرب مضيئة تنير العينين من بعد" وأنها "تصير الجاهل حكيماً" (مز ١٩) .. "فيفرح بها كمن وجد غنائم كثيرة" (مز ١١٩) . ويبدأ فى محبة الخير، ويحب الوصية التى أرشدته والتى قادته إلى حياة النقاوة ، وإلى حياة القداسة، وإلى الروحيات،

التى تذوقها فأحبها .

وبمحبة الخير ، يحب الله . وهكذا تكون المخافة جسراً قد أوصله إلى محبة الله.

ويخطئ من يظن أنه يصل إلى محبة الله، دون العبور على مخافته. فالمخافة هى التى تنقى القلب، وتؤهله لأن يكون مسكناً للروح القدس . والروح القدس هو الذى يسكب فيه محبة الله (رو٥: ٥) . وهكذا ينتقل من المخافة إلى الحب...

ولكن هذا التطور لا يأتى دفعة واحدة .

إنما قد يصل إليه بعد فترة طويلة من الجهاد ومن عمل النعمة فيه . وهو بهذا الجهاد وبهذا التغصب، إنما يثبت للرب مدى تمسكه به وتعبه من أجله. وإذ يرى الله جدية هذا الإنسان ، يقول له "كفاك تعباً" . ويسكب محبته فى قلبه ويريحه، من كفاح الخطية ومن خوف السقوط .

وعلى الرغم من وضوح هذا الطريق، إلا أن البعض يتمسكون فى فهم خاطئ بقول القديس يوحنا الرسول :

"لا خوف فى المحبة، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج" (١يو٤: ١٨) .

ونحن نود أن نتأمل هذه العبارة ونحللها معاً ، ونرى على أية

درجة روحية تتكلم؟ وهل تتنافى مع البداية بمخافة الله ...

ولعل الرسول يتكلم عن الخوف بمعنى الرعب فى يوم الدينونة، لأنه يقول بعدها مباشرة "لأن الخوف له عذاب" ... كما قال القديس بولس الرسول: " مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى " (عب١٠: ٣١) . ومع ذلك يليق بنا أن نسأل :

من الذى وصل إلى المحبة الكاملة التى تطرح الخوف إلى خارج؟ وما هى هذه المحبة الكاملة ؟

قد يدعى إنسان أنه يحب الله، بينما يكون بعيداً جداً عن محبته. أما الاختبار الصحيح لمحبته، فهو هذا: هل هو يحفظ وصايا الله أم يكسرها ويخطئ؟

هوذا السيد الرب يقول "إن حفظتم وصاياى، تثبتون فى محبتى.." "الذى عنده وصاياى ويحفظها، فهو الذى يحبنى" (يو١٥: ١٠) (يو١٤: ٢١) .. لذلك فمن غير المعقول أن يدعى إنسان أنه يحب الله، بينما يخالفه ويكسر وصاياه، ولا تكون له شركة معه!

ها هى عبارة واضحة يقولها القديس يوحنا الرسول:

" **فإن هذه هى محبة الله: أن نحفظ وصاياه" (١يو٥: ٣)** .

ويقول الرسول أيضاً "من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه، فهو كاذب وليس الحق فيه. وأما من حفظ كلمته، فحقاً فى هذا قد

تكملت محبة الله" (١يو٢: ٤، ٥) . إذن علينا أن نسعى أولاً إلى حفظ الوصايا. وهنا تلزمنا مخافة الله التى تمنعنا من ارتكاب الخطية، وتدفعنا إلى حفظ الوصية.. ولا نخدع أنفسنا ونقول إننا وصلنا إلى محبة الله، بينما نحن نخطئ، ونحزن روح الله داخلنا (أف ٤: ٣٠) .

إن الذى يخطئ، لا هو فى درجة المحبة، ولا هو فى درجة المخافة، إنه لم يبدأ الطريق الروحى بعد ..!

مادام يخالف الله، فهو لا يخافه ولا يحبه .. وهو لايزال يعيش فى الظلمة ، بعيداً عن نور الله... والرسول يقول فى صراحة "إن قلنا إن لنا شركة معه، وسلكنا فى الظلمة، نكذب ولسنا نعمل الحق" (١يو١: ٦) ... والسلوك فى الظلمة لابد يستدعى الخوف .

إذن إن كانت محبة الله، أن نحفظ وصاياه، فما هى إذن (المحبة الكاملة) التى تطرح الخوف خارجاً؟

الذى يصل إلى المحبة الكاملة ، يكون قلبه على الدوام مشتعلاً بمحبة الله. وهذه المحبة تحرق فى داخله كل شعور نحو الخطية، بل أنه "لا يستطيع أن يخطئ" (١يو٣: ٩) ... ومن الناحية الإيجابية نرى محبة الله تسيطر على كيانه كله، على قلبه، وعلى فكره، وعلى وقته أيضاً . فيحب الله من كل قلبه ومن كل فكره، ومن كل

نفسه، ومن كل قدرته (تث٦: ٥) (مت٢٢: ٣٧). ويتعلق فكره بالله، فيفكر فيه النهار والليل.. هذا شئ من المحبة الكاملة . والذى وصل الله، طبيعى أنه لا يخاف ...

لا داعى لأن يستخدم البعض عبارة القديس أنطونيوس الكبير حينما قال لتلاميذه :

" **يا أولادى أنا لا أخاف الله** " ...

فلما قالوا له "هذا الكلام صعب يا أبانا " ، أجابهم "ذلك لأنى أحبه. والمحبة تطرح الخوف إلى خارج" ... وهنا أسأل : من منا وصل إلى درجة القديس الأنبا أنطونيوس فى محبة الله؟!

هؤلاء القديسون العظام وصلوا إلى درجة عظيمة فى عشرة الله، والدالة معه، وفى دوام الحديث معه، وتفريغ القلب من كل شئ، لكى لا يبقى فيه سوى الله وحده ...

فهل ندعى لأنفسنا درجات القديسين التى ليست لنا؟! نردد أقوالهم، ونحن لسنا فى مستواهم ؟!

هل نحن قد وصلنا إلى الدرجة التى تحرق كل ما فى القلب من شهوات الجسد والمادة، والتى فيها تتضاءل بل تختفى كل محبة أخرى تنافس محبة الله، حيث يزهد القلب كل شئ، ويحسب كل شئ نفاية إلى جوار محبة المسيح... الدرجة التى قال فيها القديس

أوغسطينوس "جلست على قمة العالم، حينما أحسست فى نفسى أنى لا أشتهى شيئاً، ولا أخاف شيئاً " . هل أنت كذلك ؟

أما إن كان لايزال فى قلبك شئ من محبة العالم وشهواته، فأنت لم تصل بعد إلى المحبة الكاملة نحو الله التى تطرح الخوف إلى خارج...

وإن كان القديس الأنبا أنطونيوس قد قال عبارته المشهورة ، بعد عشرات السنوات من الخلوة فى عشرة الله ومناجاته، فهل تضع نفسك فى مستواه ؟!

ومع ذلك فالقديس أنطونيوس تكلم عن مخافة الله .

قال القديس الأنبا أنطونيوس "كما أن الضوء إذا دخل إلى بيت مظلم، طرد ظلمته وأناره، كذلك خوف الله إذا دخل إلى قلب إنسان، طرد عنه الجهل، وعلمّه كل الفضائل والحكمة" . وقال ايضاً "فى كل موضع تمضى إليه، اجعل مخافة الله بين عينيك. وكل عمل تعمله ليكن لك عليه شاهد من الكتب" . وهكذا نصح القديس تلاميذه بمخافة الله.

لا تقل إذن إنك قد وصلت إلى المحبة الكاملة التى تطرح الخوف خارجاً، إنما قل:

"أنا أريد يارب أن أحبك. ولكنى لم أصل بعد إلى هذه المحبة

الكاملة. امنحنى إياها... أنا أسلك فى المخافة، وأنت تمنحنى المحبة" .

ألم تقل " كنت أميناً فى القليل، فسأقيمك على الكثير" (مت ٢٥: ٢١) . ليتنى إذن أكون أميناً فى القليل الذى هو المخافة، لكى تقيمنى على الكثير الذى هو المحبة . أنا علىّ أن أسلك فى المخافة، ولا أعصى وصاياك. وأنت تدربنى على الحب، بل تسكبه فى قلبى بروحك القدوس ...

وحتى المخافة لا أستطيع أن أصل إليها بدونك .

ألست أنت القائل "بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " (يو١٥: ٥) نعم، لا نقدر أن نعمل القليل ولا الكثير، بدونك. إذن علمنى يارب أن أبدأ الطريق معك . ساعدنى أن أصل إلى مخافتك، فأحيا فى طاعتك. وأكون أميناً فى هذه الطاعة وفى هذه المخافة. وحينئذ سوف تعطينى المحبة، كعطية مجانية من عندك .

والمخافة هى الأساس المتين الذى تبنى عليه المحبة. وهو الذى يحفظها من السقوط والنكسة .

لأن الرب يقول لملاك كنيسة أفسس " عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى" (رؤ ٢: ٤) . والرسول القديس بولس ذكر أن أهل غلاطية : بعد أن بدأوا بالروح، كملوا بالجسد (غل٣: ٣) ... ولماذا

كملوا بالجسد، إلا لأن مخافة الله لم تكن أمامهم .

المخافة إذن هى الأساس القوى الذى يحمى مـن النكسـة. ولذلك فإن مـلاك كنيسـة أفسس الـذى تـرك محبتـه الأولـى، عالجـه الـرب بالمخافة، فقال له "وإلا فإنى آتيك عن قريب، وأزحزح منـارتك من مكانها، إن لم تتب" (رؤ ٢: ٥) .

إن المحبة هى الوضع الأصلى، يمكن أن نفقده بالخطية، ولكن تعيدنا إليه المخافة ...

إذن هـى وقايـة وعـلاج . هـى وقايـة من الخطيـة تمنعنـا مـن ارتكابه. فإن كانت شهوة الخطية فينا أقوى من مخافة الله وسقطنا، وبالتالى بعدنا عن المحبة.. تأتى مخافة الله مرة أخـرى فتقيمنـا من سقطتنا بالتوبة . وبنفس المخافة نسعى إلى مصالحة الله لنعـود إلـى محبته ..

يبقى بعد ذلك كله سؤال هام وهو :

هل إذا وصلنا إلى المحبة ، تنتهى علاقتنا بالمخافة تماماً ؟

كلا ... وكيف ذلك ؟



المحبّة والمخافة معاً

المخافة بمعنى المهابة

قال ماراسحق "إن مخافة الله تسبق محبة الله .

وقال " المخافة هى عصا الله التى تسوقنا إلى محبة الله" . وقال أيضاً كما أنه لا يمكن عبور النهر بدون سفينة، كذلك لا يمكن لأحد أن يعبر إلى محبة الله، بدون التوبة والمخافة. لأن التوبة هى السفينة، والمخافة مدبرها . والمحبة هى ميناء السلامة والكرامة، حيث يلقى المتعبون راحتهم " ...

المخافة توصل إلى المحبة . ولكن لا تفارقها .

المحبة مستوى أعلى من المخافة ، ولكن لا يتعارض معها .

هى مستوى تصعد إليه، ولكن لا تفقد ما تحته. مثل درجات السلّم. أو مستوى طالب جامعى ارتفع فوق معلومات التعليم الثانوى والابتدائى، ومع ذلك لم ينسها ، بل يعتمد عليها . هى لاتزال فى ذهنه، لم يفقدها، وإنما أخذ شيئاً فوقها .. ولا تتعارض علومه الجامعية، مع التعليم الأساسى فى المرحلة الإبتدائية والمرحلة الثانوية .

المخافة تقود إلى المحبة ، ثم تقف لتحرسها ..

والمحبة تحتفظ بالمخافة داخلها ، ولو باسم آخر .

الذين فى محبتهم تركوا المخافة ، هم عرضة لأن يتركوا محبتهم الأولى ، ويسقطوا ويحتاجوا إلى توبة ، كما حدث لملاك كنيسة أفسس، الذى كان له محبة، وقد تعب من أجل إسم الرب ولم يكل " (رؤ٢: ٣- ٥) . الذى وصل إلى المحبة الكاملة ، تبقى فى أعماقه أمور عديدة من خصائص المخافة ، فما هى ؟

يبقى فى قلبه الحرص والتدقيق والجدية والإلتزام

ويبقى فى قلبه أيضاً الجهاد ، وحفظ الوصايا ، ذلك لأنه تعود كل هذا فى حياة المخافة . وتبقى فيه أيضاً حياة التوبة وما يتبعها من إنسحاق ودموع . وإن كان الإنسان المحب لله لم يعبر على هذه كلها فى طريقه الروحى ، ولم يحتفظ بهذه كلها فى منهجه الروحى ، فلا شك أنه قد أخطأ الطريق إلى الله ...

الذى يريد أن يقفز إلى المحبة ، دون أن يعبر على المخافة ، هذا قد يصل إلى الإستهانة والتدلل !

والقديس الأنبا أنطونيوس الكبير ، حينما قال لتلاميذه " أنا لا أخاف الله " ، كان يقصد بلا شك ما وصل إليه ، وليس ما بدأ

به... لأنه واضح تماماً أنه قد بدأ بالمخافة ، حينما نظر إلى جثمان أبيه الميت ، وقال له " لقد خرجت من العالم على الرغم منك . ولكننى سأخرج منه بإرادتى ، قبل أن يخرجونى كارهاً " .

إن المخافة كالجذور بالنسبة إلى الشجرة ، هذه التى تعلو وترتفع وتؤتى ثمارها . وفى كل هذا ، تبقى الجذور كما هى ، وإن كانت مختفية . ولا يمكن أن تستغنى عنها الشجرة ، وإلا فإنها تموت ...

أما عبارة " المحبة الكاملة تطرد الخوف إلى خارج " فمعناها تطرح الرعب .

الرعب من البحيرة المتقدة بالنار والكبريت فى الظلمة الخارجية (رؤ٢٠: ١٠) (مت ١٣ : ٤٢) حيث البكاء وصرير الأسنان... تلك النهاية المخيفة التى قال عنها الرسول " مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى " (عب ١٠ : ٣١) . فالإنسان الذى يصل إلى المحبة الكاملة ،لا يخاف الإنفصال عن الله والوصول إلى الظلمة الخارجية .

ولكن تبقى فى قلبه المخافة بمعنى المهابة ... مهما وصل إلى المحبة الكاملة .

كانت خيمة الإجتماع فى العهد القديم تمثل سكنى الله مع شعبه.

وكانت خيام الشعب تحيط بها ، ولكن من بعد ، هيبة للمكان الذى يحلّ فيه مجد الله عند تابوت العهد ، وحيث يكلم الرب موسى ...

وموسى النبى نفسه ، كانت بينه وبين الله دالة يستطيع بها أن يقول له " إرجع يارب عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك " (خر ٣٢ : ١٢) . ومع ذلك لما أتى إلى الجبل ليتسلم الوصايا من الرب ، قال " أنا مرتعب ومرتعد " (عب ١٢ : ٢١) ... وهكذا هى هيبة الله " المرهوب على كل الآلهه "

المحبة إذن تطرد الخوف بمعنى الرعب ، وتستبقى المخافة بمعنى المهابة والتوقير والإجلال

فمع إننا ندعو الله أبانا فى الصلاة ، إلا إننا مع ذلك ، نركع فى صلواتنا ونسجد ... لأننا لا نتكلم مع أب عادى ، وإنما نكلم " أبانا الذى فى السموات " ... وهنا يمكننا أن نسأل : ما معنى الخشوع فى الصلاة ؟ أليس هو لوناً من المخافة ، بمعنى التوقير والإجلال . كذلك ما معنى التمجيد ؟

أليس التمجيد لوناً من مخافة الله وتوقيره ؟

كما قال الملائكة فى سفر الرؤيا " من لايخافك يارب ويمجد إسمك، لأنك وحدك قدوس، لأن الأمم سيأتون ويسجدون أمامك.." (رؤ ١٥ : ٤) . وبنفس المعنى رأى القديس يوحنا الإنجيلى ملاكاً

طائراً في السماء ، وهو يحمل بشارة أبدية لكل الشعوب ، ويقول بصوت عظيم " خافوا الله واعطوه مجداً " (رؤ ١٤ : ٧) .

هنا خوف الله يرتبط بتمجيده . ونحن نرتبط بكليهما ، كلما تذكرنا عظمة الله وعلو مجده ...

والرب نفسه يطالبنا بهذا ، حتى لاننسى مجد الله وهيبتنا له ، فنخطىء إليه ... وهكذا لما ظهر الله لموسى في العليقة ، قال له " إخلع حذاءك من رجليك ، لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة " (خر ٣ : ٥) أليس هذا مثالاً من مخافة الله ...

من الأمثلة الأخرى ألا ننطق باسم الله باطلاً (خر ٢٠ : ٧)، والعقوبة المرتبطة بهذه الوصية .

إنها إحدى الوصايا العشر . وقد قال الله بعدها مباشرة " لأن الرب لايبرىء من ينطق باسمه باطلاً " . وفي العهد الجديد ، في العظة على الجبل ، نرى نفس الوصية ، ليس باسم الرب فقط ، بل كل ما يتعلق به . فيقول " لاتحلفوا البتّة . لا بالسماء لأنها كرسى الله ولا بالأرض لأنها موطىء قدميه . ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ..." (مت ٥ : ٣٤ ، ٣٥) .

إنها المهابة لله ، ولكل ما ينسب إليه

فالإنسان الذى مخافة الله في قلبه ، هذا يهاب الله ، ويوقره ،

ويطيعه ، ويحفظ وصاياه ، ويحترمه ، ويحترم كل ما يتصل به : يهاب مواضعه المقدسة ويحترمها . ويحترم كتابه ، وخدام مذبحه ، ويحترم قديسيه وملائكته ، ويحترم إسمه القدوس ، فلا ينطق به باطلاً، بل يقدسه ويمجده، وينحنى حينما ينطق بهذا الإسم القدوس..

إنها المخافة ، التى يتصف بها كل من يحب الله ...

التى فيها ، لايمكن للإنسان أن يكسر وصية واحدة من وصايا الله . فبالمخافة لا يكسر وصاياه ، لأنه يخاف عقوبته . وبالمحبة أيضاً لا يمكنه أن يكسر وصاياه ، لأنه يحب تلك الوصايا ، ويجد لذته فيها . أما الذى يكسر الوصية، فواضح أنه بعيد عن محبة الله، وبعيد عن مخافته ...!

والذى يتكلم عن المحبة بينما يكسر الوصية ، يكون كلامه باطلاً .

إذ كيف يتكلم عن المحبة التى هى نهايةالطريق الروحى ، بينما لم يصل بعد إلى المخافة التى هى بدء الطريق . وما أجمل قول الوحى الإلهى فى هذا المعنى " إن جريت مع المشاة فأتعبوك ، فكيف تبارى الخيل ؟ !" (أر ١٢ : ٥) ...

إن كنت لا تزال تصارع مع الخطية ، مرة تسقط وأخرى تقوم، فكيف تضع نفسك مع الذين فعلوا كل ما أمروا به ، ويقولون " إنهم عبيد بطالون " (لو ١٧ : ١٠) . ماذا إذن عن مقارنة نفسك

بالقديسين أمثال أنطونيوس ؟! أو غيره من أصحاب الرؤى والإستعلانات .

فلنتكلم إذن عن مستوانا ، ولا ندّعى لأنفسنا درجات لم نصل إليها بعد ، ولن نصل ...

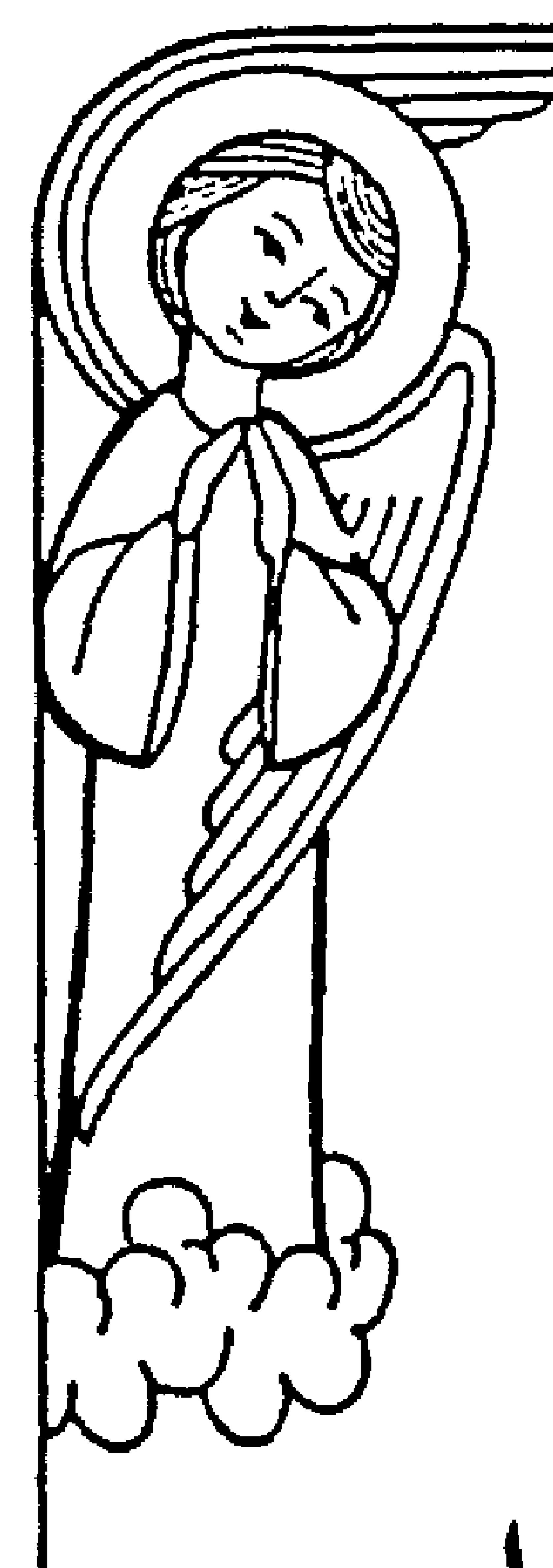
إننى أكلم بشراً من نوعى ، نجاهد معاً لكى نصل ، ولكننا لم نصل بعد .. بل مازلنا فى مرحلة الجهاد . فهذا مستوانا معاً ... أما المحبة الكاملة التى تطرح الخوف إلى خارج ، فلعلها مشوار الحياة كلها ... نحاول كل يوم أن نصل إلى شيء منها ...

ويخيل إلى أن المحبة الكاملة لا نصل إليها إلا فى الأبدية .

وفى ذلك العالم لا توجد خطية ، وبالتالى لا يوجد خوف . أما فى عالمنا هذا الذى توجد فيه الخطية ، فلابد أن توجد فيه المخافة أيضاً . لأن الخوف ملازم للخطية بالضرورة ...

وكما يقول الكتاب " أتريد أن لا تخاف السلطان ، افعل الصلاح... ولكن إن فعلت الشر فخف " (رو ١٣ : ٤،٥) . فإن قيل هذا عن السلطان المحدود فى تقييمه للشر ، فماذا نقول عن الله غير المحدود فى الصلاح والقداسة ؟

وحذارِ أن تفهموا خطأ الآيات التى وردت فى الكتاب عن حنان الله ومغفرته ولطفه ورحمته ...



الباب الثامن

إعتراضات والردّ عليها

كثيرون يهربون من عبارة (مخافة الله)، ويرون أنها لا تتفق مع عهد النعمة. فما هى أدلتهم :

١ - **يقول المعترض: لماذا أخاف الله، وقد قبل إليه أوغسطينوس، وكان فاجراً لزمن طويل؟!**

وقد قبل الله إليه أيضاً موسى الأسود، وكان قاتلاً قاسياً .. وكذلك مريم القبطية، وكانت فى عمق الدنس والفساد.. وقبل إليه كذلك مريم المجدلية التى كان فيها سبعة شياطين (مر ١٦: ٩) ، كما قبل إليه المرأة الزانية التى رأته فى بيت الفريسى (لو٧: ٣٧) .

وأنا أطوّب فيك يا ابنى معرفة كل هذه الأمثلة . ولكنى فى مناقشتها معك، أحب أن أسأل :

هل لك توبة صادقة مثل كل أولئك القديسين؟

هل لك توبة أوغسطينوس وموسى الأسود، اللذين لم يرجعا إلى الخطية مرة أخرى، بل استمرا فى النمو الروحى حتى صارا مرشدين لكثيرين، بل لأجيال بعدهما؟ .

هل لك انسحاق قلب تلك الزانية، التى تذللت جداً وسكبت دموعها أمام جميع الناس ؟

هل تعرف كيف اقتاد الله مريم القبطية بالمخافة، إذ صدتها يد الله عند الدخول إلى الكنيسة، وسمرتها فى مكانها، فلم تستطع الوصول إلى الأيقونة المقدسة؟ وهل تعرف كيف جاهدت ١٧ سنة بعد توبتها وهى فى إصرارها ثابتة أمام حروب الشياطين المخيفة المستمرة؟

وهل لك الحب الذى كان فى قلب القديسة مريم المجدلية ، الحب الجبار الذى يمكن أن يبعد عنها المخافة؟

كن مثل كل أولئك فى توبتهم وحبهم، حينئذ لا تخاف. وتأمل ايضاً كيف ومتى وصلوا إلى تلك الدرجة .

ولكن لا تفترض نفسك فى مستوى قديسين، حالتك غير حالتهم، وتوبتك غير توبتهم، ويوجد فارق كبير بينك وبينهم، بين بدايتك ونهايتهم!!

إنما ضعهم أمامك ، ليبعثوا الرجاء فى قلبك .

وحاول بكل قوتك أن تسير فى طريقهم بنفس الجدية، وبنفس العزيمة الصادقة، وبنفس المخافة التى بدأوا بها. وحينئذ لا تخاف..

وتذكر أن الرب قال عن المرأة الزانية التائبة، إنه غفر لها

الكثير لأنها أحبت كثيراً .

إن وصلت إلى تلك المحبة الكثيرة، وإلى ذلك التذلل وتلك الدموع، تكون قد وصلت إلى المخافة التى توصلك إلى المحبة، وتأخذ الوعد الإلهى فلا تخاف .

٢- اسمعك تقول : لماذا نخاف ، والله أب لنا يتراءف علينا؟!

إنه أب بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، قال عنه المرتل فى المزمور "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا.. كبعد المشرق عن المغرب، أبعد عنا معاصينا" (مز١٠٣: ١٠،١١).

حسن يا ابنى أنك استخدمت هذا المزمور وهذه ا يات بالذات. وليتنا نقرأها معاً، ونرى ماذا تعنى؟ يقول المرنم :

" **كما يترأف الأب على البنين، يترأف الرب على خائفيه**" .

ولم يقل يتراءف على الباقين فى خطاياهم، أو على المستمرين فى كسر وصاياه. بل قال يتراءف على خائفيه " (مز ١٠٣: ١٣). وقال فى مراحم الرب ومغفرته "لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض، قويت رحمته على خائفيه" (مز ١٠٣: ١١) .

أراك عرضت آيات توافق فكرك، وتركت الباقى !

أخذت ا يتين ١٠، ١٢ من المزمور ١٠٣ ، بينما تركت ا يتين ١١، ١٣. وكان ينبغى أن تأخذ المزمور كله، لكى تفهم المعنى

متكاملاً من جهة معاملة الله.

فحقاً هو رحيم ورؤوف وطويل الروح .. ولكن لكى نتوب ، وحينئذ يتراءف على خائفيه، ولا يجازيهم حسب آثامهم. لأنهم بخوف الله قد تابوا، وبالتوبة محيت خطاياهم. وهكذا لم يعد الله يجازيهم على آثام قد غفرها. ولا يصنع معهم حسب خطايا تابوا عنها...

الله يعاملك كأب ، وكلن ينبغى أن تعامله كإبن له .

حقاً هو أب لنا ، ولكنه لا يحابى ...

أنظر ماذا يقول القديس بطرس الرسول فى هذا المعنى.. إنه يقول "إن كنتم تدعون أباً الذى يحكم بغير محاباة، حسب عمل كل واحد، فسيروا زمان غربتكم فى خوف " (١بط١: ١٧) .

إنه أب بكل ما تحمل الكلمة من معنى الأبوة . ولكنه أب قدوس لا يرضى بالخطية. وهو أب عادل لا يحابى أولاده. ومادام سيحكم على أعمالنا بغير محاباة، إذن فلنخف من إغضاب هذا الأب، ولنخف من أن نفقد محبته .

الله أب لنا . وكأب يعاتب أولاده على عصيانهم .

وهكذا تبدأ نبوءة أشعياء النبى بعبارة :"اسمعى أيتها السموات، واصغى أيتها الأرض، فإن الرب يتكلم: ربيت بنين ونشأتهم، أما هم

فعصوا علىّ" (أش ١: ٢) . وماذا أيضاً ؟ يقول الرب فى سفر ملاخى النبى "الإبن يكرم أباه، والعبد يكرم سيده. فإن كنت أنا أباً، فأين كرامتى؟ وأن كنت سيداً، فأين هيبتى؟" (ملا١: ٦) .

ألا نقول إذن إن الوقوف ضد كرامة الله وهيبته، أمر يدل على عدم وجود مخافة الله فى القلب؟! وهذا ضد تعليم الكتاب ...

فإن كنت إبناً لله ، فأين كرامة الله كأب لك ؟

٣ - يقول البعض : لماذا أخاف الله ، وهو ليس فقط أباً، وإنما تمتزج أبوته بالطيبة والعطف ؟

هنا وأجيب : هل لأن الله أب طيب، نستغل نحن طيبته، ونتجاهل كرامته وهيبته؟! وننسى جلاله وأبوته؟! أيلزم إذن أن يشتد فى معاملته لنا، لكى نطيعه ونخافه ونهابه؟ وإن نسينا هيبة الله باسم الحب، أيكون هذا حباً حقيقياً ؟

ومادام الله أباً ، أليس من حقه كأب أن يؤدبنا؟ وأن نخشى تأديبه ..

هوذا الرسول يقول "الذى يحبه الرب يؤدبه ... إن كنتم تحتملون التأديب، يعاملكم الله كالبنين، فأى إبن لا يؤدبه أبوه؟! ولكن إن كنتم بلا تأديب قد صار الجميع شركاء فيه، فأنتم نغول لا بنون" (عب ١٢: ٦- ٨) .

إذن فلا ننتظر من الأب العطف فقط ، بل أيضاً التأديب .

ولنثق أن التـأديب نـافع لنـا . إنـه يغرس فينا مشاعر المخافـة، فنطيع الله، ونحيا ..

وهوذا القديس بولس الرسول يتابع كلامه فيقول "قد كان لنا آبـاء أجسادنا مؤدبيـن، وكنـا نهـابهم. افـلا نخضـع بـالأولى جـداً لأبـى الأرواح فنحيا؟ لأن أولئك أدبونا أياماً قليلة حسب استحسـانهم. وأمـا هذا فلأجل المنفعة لكى نشترك فى قداسته" (عب ١٢: ٩، ١٠) .

ولأن الرسول يعرف أن المخافة ليسـت محبوبـة عنـد الكثيرين، وكذلك التـأديب، فإنـه يختـم كلمتـه بقولـه "ولكـن كـل تـأديب فـى الحاضر، لا يُرى أنه للفرح بـل للحـزن. وأمـا أخيراً فيعطـى الذيـن يتدربون به ثمر بر للسلام" (عب ١٢: ١١) .

إذن أبوة الله لنا ، ليست لمجرد التدليل !

إنما هى بالأكثر للتقويم والتهذيب والتأديب، لكـى تنصلـح حياتنـا فنحيا. ومن هنا ينبغى أن تمتزج محبتنـا البنويـة للـه بالمخافـة. كمـا قال الرسول عن آبائنا بالجسد "كنا نهابهم" وكانوا "مؤدبين لنا" . هنـا المخافة بمعنى المهابة والطاعة، وليست بمعنى الرعب. تخاف لكيلا تخطئ ..

٤ - يقول البعض : لماذا مخافة اللـه، بينمـا مـن صفـات اللـه

اللطف والحنان ؟!

والرسول يقول "ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه، لا بأعمال فى بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا.." (تى٣: ٤، ٥) .

ونجيب بأن الحديث عن لطف الله هو نصف الحقيقة ، فإن الرسول نفسه يقول:

"**هوذا لطف الله وصرامته** .. " (رو١١: ٢٢) .

ويكمل " أما الصرامة فعلى الذين سقطوا. وأما اللطف فلك، إن ثبتّ فى اللطف. وإلا فأنت أيضاً ستقطع " (رو١١: ٢٢) .

٥ - يقول المعترض . ولكن الله طويل الأناة ورحوم .

فنجيب : ولكن لا يليق بنا كأبناء وكمؤمنين، أن نستغل طول أناة الله لنتمادى فى خطايانا! كما لو كانت رحمة الله ستار لاستهتارنا. وهوذا الرسول يوبخ كل من يستغل طول أناة الله، فيقول :

" أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة . ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله .." (رو١٢: ٤- ٦).

ليس حنان الله إذن مجالاً للأستهتار !! ولا طول أناته معناه أنه راضٍ على الخطية أو متسامح فيها ولا يعاقب !! حاشا . فإن كل هذا لا يتفق مع صلاح الله غير المحدود، ولا مع عدله .

كلا ، وإنما الله لا يريد أن يمسك بك وأنت فى حالة خطأ فتهلك. بل يعطيك فرصة للتتوب .

عليك أن تخاف إذن من طول أناة الله. لئلا يأتى الوقت الذى يمتلئ فيه كأس الغضب ، فتنتهى الفرصة التى أعطيت لك للتوبة، وهنا تتعرض لدينونة الله المخيفة (رو٢: ٢١) .

لقد أطال الله أناته جداً على فرعون أيام موسى. فهل معنى هذا أنه لم يعاقبه ؟!

وقد أطال الله أناته فترة على الأموريين، لأن كأس الأموريين لم يكن كاملاً وقتذاك (تك ١٥: ١٦) . فلما أكتمل ذنبهم دفعهم ليد موسى النبى .

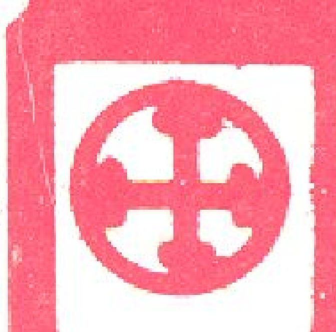
٦- إنى لأعجب لمعترض يستشهد بقولٍ للقديس أوغسطينوس "تحب. ثم تفعل بعد ذلك ما تشاء " ! .

محال طبعاً أن يُفهم من قول القديس أن تفعل ما تشاء من الخطية والإستهتار. بل أن ما يقصده هو أن تفعل ما تشاء داخل محبتك لله. فلا تسلك حرفياً داخل المحبة .

الفهرس

صفحة





باسم الآب والإبن والروح

القدس إله واحد آمين

مخافة الله هى أول الطريق إليه. يتدرج منها الإنسان إلى حياة التوبة، ثم النقاوة. وتكون محبة الله هى القمة، أو هى نهاية الطريق.

ولا يمكن أن تصل إلى المحبة بدون أن تعبر على المخافة. لأن إدعاء المحبة - بدون مخافة - يوصل إلى الإستهتار.

وهذا الكتاب يحدثك عن مخافة الله. لماذا تكون؟ وكيف تكون؟ وما علاقة المخافة بالمحبة؟

البابا شنوده الثالث

